حرية الفكر
أم حرية الكفر

تقديم فضيلة الشيخ

عبد الله بن عبد الرحمن السعد

تأليف

عبد العزيز بن عبد لله بن سعيد الزهراني

مصدر هذه المادة:







مقدمة فضيلة الشيخ
عبد الله بن عبد الرحمن السعد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.. أما بعد:

فإن من الإيمان بالله تعالى إجلاله وتوقيره وتعظيمه واحترام شرعه ودينه؛ قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ * وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. [الأنعام: ١-٤]، وقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾. [نوح: ١٣، ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾. [الفتح: ٧-٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾. [الحج: ٣٠] وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى﴾. [الحج: ٣٢].

وأخرج مسلم (١٧٣١) في صحيحه من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّرَ أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا.. وفيه: «**إذا حاصرت أهل حصين فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله**».

وأخرج البخاري (٤٨١١) وفي غير هذا الموضع أيضًا ومسلم (٢٧٨٦) كلاهما من حديث عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد – أو يا أبا القاسم : إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الملك. فضحك رسول الله تعجبًا مما قال الحبر تصديقًا له، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. [الزمر: ٦٧]، وهذا لفظ مسلم.

وأخرج البخاري (٧٣٨٢) ومسلم (٢٧٨٧) كلاهما من طريق

سعيد بن المسيب عن أبي هريرة كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: «**أنا الملك أين ملوك الأرض؟**» وهذا لفظ مسلم... إلى غير ذلك من الأدلة التي فيها بيان عظمة الله تعالى وقدرته وتقديسه واحترام شرعه ودينه.

وقد وجد أناس [١] قديمًا وحديثًا يدعون إلى الإلحاد ويقولون الكفر ويعترضون على الشرع المقدس، وفي هذا خراب الدين والدنيا وفساد السماوات والأرض؛ قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وقد تصدى أهل العلم قديمًا وحديثًا للرد على باطل هؤلاء، ومنهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن سعيد الزهراني وفَّقه الله تعالى في كتابه هذا "حرية الفكر أم حرية الكفر"، فَبَيَّن باطلهم ورد عليهم بالنقل الصحيح والعقل المستقيم، فجزاه الله خيرًا ووفقه في الآخرة والأولى.

والشيخ عبد العزيز الزهراني من وجوه أهل العلم في منطقة الباحة، وقد استفاد من جمع من أهل العلم، ومن أخصهم الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان؛[٢] فقد قرأ عليه بمكة صحيح البخاري وكتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

(١) ومنهم من ينتسب إلى الحداثة في عصرنا هذا .
(٢) المتوفى سنة ١٣٩٧ هـ.

تعالى، وكرر عليه قراءة هذا الكتاب ثمان مرات، وهذا يدل على اهتمامه بعلم التوحيد والعقيدة خاصة، وحرصه على طلب العلوم عامة، وقد لازمه نحوًا من عشر سنوات كما أخبرني هو بذلك.

وقد أجازه الشيخ سليمان الحمدان برواية الكتب الستة وموطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد وغير ذلك، وأجازه أيضًا شيخنا حماد بن محمد الأنصاري، ولازم الشيخ عبد الحق الهاشمي قرابة ١٢ سنة، وقرأ عليه صحيح البخاري وصحيح مسلم والتفسير لابن كثير: إما كله أو أكثره، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، والأسماء والصفات للبيهقي.

وأجازه أيضًا: عبد الله بن عبد الرحمن السعد[١]، وقد استفاد جمع من أهل العلم من الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الزهراني، وقصده جمع منهم لطلب الإجازة في الحديث ورحلوا إليه، وممن أجازهم:

١- شيخنا حماد بن محمد الأنصاري [٢].

٢- شيخنا إسماعيل بن محمد الأنصاري.

٣- الشيخ عبد الوهاب بن عبد العزيز الزيد.

٤- الشيخ عبد المجيد بن إبراهيم الوهيبي.

٥- الشيخ عبد الله بن محمد الدهيشي.

---

(١) إضافة من الشيخ عبد العزيز الزهراني، وقد أجازني هو أيضًا.

(٢) وقد تقدم أن الشيخ حماد أجازه وهذا يسمى في علم الحديث: المدبج.

٦- الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي.

٧- الشيخ ناصر بن طلق العتيبي.

٨- الشيخ عبد العزيز بن فيصل الراجحي.

٩- الشيخ مساعد بن سليمان الراشد.

١٠- الشيخ مشعل بن باني بن جبرين المطيري. وغيرهم.

وقد تصدى الشيخ عبد العزيز وفقه الله تعالى للتأليف؛ فمن مؤلفاته:

١- معجم رواة الحديث الأماجد من زهران وغامد، وقد طبع أخيرًا بثمان مجلدات، وقد جمع في هذا الكتاب من روى الحديث وحمل العلم من قبيلة زهران وغامد من الصحابة إلى شيوخ أصحاب الكتب الستة وذكر مروياتهم، وقد بلغ عدد الأحاديث التي ذكرها لهم ١٢٥٤٤.

٢- دفاع عن فقه أبي هريرة، وقد دافع فيه عن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، وبيَّن أنه من فقهاء الصحابة المشهورين، ولعل الكتاب يطبع قريبًا.

٣- صور من سيرة شباب الرعيل الأول.

وهو كتاب مفيد يصلح لعامة الناس وللشباب خاصة، تحدث فيه عن سيرة الصحابة رضي الله عنهم، وذكر فيه بعض قصص الإيمان والإيثار والبطولة والفداء لدى الصحابة رضي الله عنهم، وقد طبع هذا الكتاب.

٤- خواطر إسلامية: وقد طبع، وهو كتاب قيم، وكما سماه مؤلفه: خواطر، وقد تحدث فيه عن موضوعات شتى من بيان فضل العلم والعلماء، وأن أصل العلم هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتحدث في هذا الكتاب عن الفرق الضالة وحذر منها، وأن المنهج الذي يجب على كل مسلم أن يسلكه هو الاعتصام بالكتاب والسنة.

وتحدث أيضًا في هذا الكتاب عن الأخلاق والآداب التي يجب على كل مسلم أن يتخلق بها، وغير ذلك من الموضوعات المهمة.

٥- حرية الفكر أم حرية الكفر، وهو كتابنا هذا الذي جرى التقديم له.

والمؤلف وفقه الله تعالى نحسبه والله حسيبه من أهل العلم والغيرة على الدين ولا نزكيه على الله تعالى.

وكتب عبد الله بن عبد الرحمن السعد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحابته، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته واتبع ملته، إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن قلب المؤمن ليحترق غيرة ويتميز غيظًا على ما وصلت إليه أمة الإسلام من ضعف وتشتت وفرقة واختلاف؛ فليس يضيرنا عداوة الأعداء من اليهود والنصارى والمجوس والشيوعيين وغيرهم؛ لأنهم أعداء ظاهرون عداوتهم معلنة للمسلمين، وجلدون في إلحاق ضرباتهم لكياننا الإسلامي، وإنما الطامة الكبرى والكارثة المؤلمة أن يكون العدو من أهل بيتنا ومن أبناء ملتنا ممن ينام بين أظهرنا، يطلع عن كثب على عوراتنا، ويكشف أسرارنا، ثم يتحول عونًا لأعدائنا علينا، ويدًا للمتربصين بنا.

إن أكثر من يحارب الإسلام رعاع من بني قومنا تحت شعارات مختلفة ولكنها تتفق على هدم الإسلام؛ فهم تارة يسمون أنفسهم تقدميين، وتارة يدعون أنهم أحرار تنويريون تبعيون، وحينا آخر يدخلون من باب حرية الفكر والاجتهاد؛ ليعملوا على تفتيت المسلمين وتشكيكهم في دينهم وتنفيرهم من عقيدتهم، وقد حصر الله العداوة الكاملة للمسلمين في هذا النوع من المنافقين الذين

﴿قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

وقد انتشر خطر المنافقين من العلمانيين العرب في طول الوطن الإسلامي وعرضه، حتى عمت بهم البلوى وعظمت بهم الفتنة، يبثون سمومهم ويعلنون خفايا مروقهم، ويجاهرون بردتهم، ويدعون الناس إلى كفرهم وإلحادهم، وصدق النبي المصطفى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم حين سأله حذيفة بقوله: كنا في جاهلية وشر فأتانا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم وفيه دخن**». قال: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر**». قال: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**». قال: صفهم لنا يا رسول الله. قال: «**من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**..». الحديث في الصحيحين وغيرهما.

أقول: هل بعد هذا البيان الشافي الشامل من كتاب الله سبحانه وتعالى من بيان وتفسير؟! ففي آية "المنافقون" حصر العداوة الكاملة فيهم حين قال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ ثم حذر المسلمين من غدرهم وتربصهم فقال: ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ ثم أعقب ذلك بطردهم من رحمته فقال: ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾.

وفي حديث حذيفة بَيَّن حالهم وأنهم «**دعاة على أبواب**

جهنم، **من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، وهم من جنسنا من العرب «**من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**» من بني عمومتنا، إلا أنهم دعاة إلى أبواب جهنم إلى الهاوية، إلى الزور والباطل، من تبعهم في باطلهم حشر معهم وبعث معهم وصبغ بصبغتهم.

إن هؤلاء الملاحدة أنكروا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وزعموا – قبَّحهم الله – أن مع الله آلهة تعبد في السماء والأرض ذكرانا وإناثًا، واتهموا الصحابة – رضوان الله عليهم – بالدعارة والفسق والفجور! وزعموا كذبًا وزورًا وبهتانًا أن الإسلام ليس فيه عقوبة للمرتدين! وليس في الإسلام شيء اسمه "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، ولبَّسوا سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه بجريمة الزنا! واتهموا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه بالمداهنة؛ حيث لم يقم الحد على خالد! إلى غير ذلك مما فصلتُه في مواضعه من هذه الرسالة المختصرة.

إن تلك الخواطر الشَّاذة وفكر التبعية المستورد من مدارس التغريب الغربي والشرقي، وأفكار الشعوبية المنحلة الوافدة على بلاد المسلمين بواسطة الابتعاث – لم يستطع أن يصرح بها أساتذة العلمانيين من أحبار اليهود وقساوسة النصارى، حتى خدمهم في التصريح بها على نطاق واسع تلامذتهم وأذنابهم وعملاؤهم من العرب المهتدين بهديهم والسائرين في فلكهم وحسب مخططهم؛

لذا فإني أقدم هذا الكتيب إلى أهل العلم والفكر والأدب؛ أهل الغيرة من علماء العالم الإسلامي؛ ليهبوا للدفاع عن دينهم

والتصدي لتيارات الغزو الفكري الإلحادي الماكر ومخططاته، الهادفة إلى تشتيت وحدة المسلمين، وتشكيكهم في عقيدتهم، وصرفهم عن دينهم، وسلخ هويتهم الإسلامية، وتمزيق وحدتهم؛ فقد عظمت بهم البلية، وعَمَّت بهم الفتنة، وبلغ السيل الزُّبى.

وإني أهيب بأهل العلم من المسلمين أن يدافعوا عن دين الإسلام؛ فالإسلام ليس دينًا إقليميًا لا يدافع عنه المسلم إلا في بلده؛ بل هو دين عالمي يجب الدعوة إليه والدفاع عنه في كل أرض، وتحت كل سماء، كما هو الحال؛ فهذا نائب رئيس مجلس وزراء المملكة العربية السعودية وولي عهده الأمين طاف المشارق والمغارب يتفقد أحوال المسلمين، ويدافع عن قضاياهم، وينفي الشبهات التي تثار لتشويه الإسلام؛ لذلك يجب مؤازرته، ومؤازرة حكومتنا الرشيدة في الدفاع عن الإسلام، والله أسأل أن يبعث لدينه ناصرًا وقامعًا لأهل الردة والزيغ والفساد، إنه على كل شيء قدير.

المؤلف

عبد العزيز بن عبد الله الزهراني.

حرية الفكر أم حرية الكفر؟

إلى علماء المسلمين وحكامهم في كل مكان، إلى كل من يهتم بأمر المسلمين، إلى كل أخ مسلم غيور أوجه هذا النداء، بعد أن كشف الإلحاد عن وجهه الكالح، وجرد الملحدون القناع عن إلحادهم المدمر، وبعد أن قام كُتَّاب بعض البلدان العربية والإسلامية بِسَبِّ دين الإسلام ورسول الإسلام وصحابته الكرام؛ حيث فاقوا دعاة التنصير والمنظمات التبشيرية والصهيونية الموغلة في العداء للإسلام، إلى كل أولئك أوجه هذا النداء كما سبق أن وجهته عبر (مجلة البيان) في عددها (١٢١) في شهر رمضان عام ١٤١٨هـ.

بدأت أكتب في خاطرة بعنوان (أصنام تعبد في داخل الإنسان)، وإذا بالخبر المفزع يفاجئنا بعناوين مفزعة على صفحات (مجلة المجتمع) الكويتية العدد (١٢٦٧) ١٤-٢٠ جمادى الأولى عام ١٤١٨هـ، والعهدة على مجلة المجتمع، يقول الخبر: (١٩٦) مائة وستة وتسعون كتابًا تهاجم الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة، وعلماء ذلك البلد يطالبون بمصادرة تلك الكتب المضللة.

كفر صريح وردة مكشوفة

١- مقالاتهم الكفرية وكتبهم الإلحادية مثل كتاب "رب الزمان أو رب الأزمان" لمؤلفه الوثني والمفكر اليساري الدكتور سيد القمني، الذي يتحدث فيه ويعلن (عن وجود آلهة سماوية وآلهة أرضية ذكورًا وإناثًا)، ويقرر تعدد الآلهة والشرك بالله.

٢- وفي كتاب "شدو الربابة" للملحد أعمى البصر خليل عبد الكريم بصفحة (٢٠) يزعم فيه أن الإسلام ليس بديانة إلهية سماوية، وإنما هو تجربة فجَّرها محمد وساهم الصحابة معه في تجسيدها لإقامة الدولة القرشية.

٣- ويقول سيد القمني هو الآخر في كتاب " رب الزمـــان أو رب الأزمان" - يقول فيه: إن جد الرسول عبد المطلب كان يسعى للزعامة وإقامة دولة، وهذا ما دفع أولاده إلى مســـاندة الإســـلام ليحققوا من خلاله حلم جدهم في تأسيس الدولة القرشية، وفســـر ذلك قائلا: وهذا وضع طبيعي لكي تبدو الرسالة النبويـــة طبيعيـــة ومتوافقة مع الظروف والأوضاع لمن نزلت فيهم.

٤- وفي كتاب "شدو الربابة في أحوال الصحابة" صفحة ١٨ يوجه خليل عبد الكريم الاتهام إلى الإسلام والنبي محمد صـــلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، قائلًا: إن الصحابة لم يتخلصوا مـــن عاداتهم الجاهلية، وإن الإسلام ومحمدًا فشلا في التســـامي بهـــم إلى مكارم الأخلاق، مما جعل محمدًا يتبرأ منهم.

٥- ويفتري خليل عبد الكريم على مجتمع مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه "مجتمع يثرب" ويصـــفهم - قاتلـــه الله - بالدعارة، قائلًا: إن مجتمع يثرب تسيطر عليه الشهوات الدافعـــة إلى الزنى، ويتهكم بصحابة النبي المختار رجالا ونساء، كمـــا يتـــهم الصحابة بالبصبصة للنساء في موسم الحج! وأورد في كتابه المشـــار إليه أشياء تقشعر منها الجلود وتأبى النفوس الأبية أن تصف بها أحط

الخلق منزلة، فضلا من أن يوصف بها أكرم البشر على الله بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فعليه من الله ما يستحق.

٦- وفي كتاب "رب الزمان" يتحدث الدكتور الوثني سيد القمني عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ويزعم أنه لم يكن مؤهَّلًا للإمارة وليس خليقًا بها.

٧- ثم لا يتورع صاحب "رب الأزمان" في (١٥٩) عن رمي سيف الله خالد بن الوليد بجريمة الزنى.

٨- كما اتهم أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - في نفس الصفحة (١٥٩) بالمداهنة، ويزعم أنه لم يقم على خالد حد الزنى الشرعي.

٩- ينكر العلماني المطرود من جامعة الأزهر أحمد صبحي منصور في كتابه "الحسبة بين القرآن والتراث" ويقول: إن السنة ليست مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامي، ويصف الأحاديث النبوية بمخالفة القرآن والعقل البشري، ويزعم أن الفقهاء هم الذين اخترعوا تلك الأحاديث؛ لتكون مستندًا لهم في تشريعاتهم التي سنوها وفقًا لظروفهم، وأهوائهم.

١٠- وفي صفحة (٩) من كتاب "الحسبة" نفسه يقول: لا يوجد في الإسلام ولا في السيرة النبوية عقوبة للمرتد، ولهذا فقد تكفل فقهاء الدولة العباسية باختراع حديثين لمعاقبة المرتد، وسارعت الدولة العباسية إلى تطبيق تلك العقوبة.

١١- وفي كتاب "الحسبة" له أيضًا يشكك في الحديث

الصحيح «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده**» الذي رواه مسلم وأصحاب السنن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وزعم أن الحديث من وضع فقهاء الحنابلة... إلخ.

هذه هي خلاصة تلك الطوام المكفرة والمخرجة من الإسلام، وسوف أعلق على هذه الفقرات الموضحة أعلاه فيما بعد إن شاء الله تعالى بما ييسره الله.

الفكر العلماني وتعدد الآلهة

قال صلى الله عليه وسلم: «**لا تقوم الساعة حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**». الله أكبر! إنه لا يكاد يمر زمن أو ينقضي زمن إلا ويحدث حدث يجسد صدق رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث أخبر من قبل أربعة عشر قرنًا بأمور تطالعنا الحوادث بصدق الخبر وتجسيد وقوعها، وما ذاك إلا لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينطق عن الهوى، وإنما أَوْحَى إليه بها عالِمُ ما كان وما هو كائن.

روى أبو داود وابن ماجه حديثًا عن ثوبان، ومنه - وهو الشاهد هنا - قوله صلى الله عليه وسلم: «**ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان**». وأصل الحديث عند مسلم في صحيحه، وكأن هذا الحديث ينبئنا عن كتاب: "رب الأزمان" لمؤلفه العلماني العربي الدكتور سيد القمني! وقد يكون هذا الكتاب من الآلهة التي ذكرت فيه! حيث أسماه "رب الأزمان"، وما أدراك ما رب الأزمان؟ إنه

يحمل في طياته الجهل كله ومعالم الكفر كله.

ومن الغريب أن أهل الفكر من غير العرب استعملوا عقولهم وفكرهم في كل نافع مفيد وأتوا بالعجائب، وسخَّروا مواهبهم العقلية والفكرية فيما يعود عليه وعلى غيرهم من البشر بمنافع جمة في حياتهم الدنيا من اختراعات تبهر العقول وتحير اللب؛ فقد غزوا الفضاء ووصلوا في تجاربهم العلمية إلى بعض أسراره، واكتشفوا الأرض وأخرجوا ما حَوَتْه من كنوزها إلى غير ذلك، أما المبدعون العرب من خريجي مدارس التغريب فإن البلاء بهم لشديد؛ إنهم كذلك أتوا بالعجائب العكسية لخدمة سادتهم التي أوكلوها إليهم ليزرعوها لتدمير مجتمعهم المنكوب بهم!

ومنهم المبدع المفكر والعالم المجتهد الذي لا يجارى كما يزعم، والذي لا يشق له غبار، سعادة الدكتور سيد القمني؛ فإنه أتى بما لم تستطعه الأوائل؛ حيث توصل في فنونه العلمية واختراعاته الجهنمية وإبداعاته الوهمية وبحوثه الفكرية واجتهاداته الشيطانية إلى اكتشافه آلهة مع الله أرضية وسماوية! آلهة متعددة، خليطًا من الذكران والإناث!

إن مما تجدر الإشارة إليه أن تلك المواهب والتَّجَلِّيَّات بقيت وكأنها ألغاز غامضة تثير أكثر من سؤال أوجِّهُه لسعادة المفكر الموهوب الدكتور سيد القمني صاحب كتاب "رب الأزمان"، والذي أوجب ذلك التساؤل هو:

أن المفكر المبدع لا زال يتمسح بالإسلام عندما تدمغه الحقائق

وتلجمه الأدلة.

ثانيًا: ما لمسته من معاني آيات من كتاب الله تعالى في قوله جل وعلا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾. [فاطر: ٤٠].

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾. [الأحقاف: ٤-٦]، والمشكل هنا أن صاحب الفكر البديع لم يبين حصة تلك الآلهة من خلق السموات والأرض: هل تفردوا بعدد من القارات أو ببعضها؟! وما الذي صنعوه في السموات؟! لأن الكون ليس فيه علاماتٌ فارقة تلفت النظر إلى تعدد الآلهة والفرق بين مخلوقاتهم!

ثالثا: القضية عندنا نحن المسلمين أننا نعتقد حسب ما فهمنا من كتاب الله سبحانه أن من زعم بوجود آلهة مع الله فإنه مشرك بالله كافر به خارج عن دين الإسلام، والمفكر العربي الموهوب حين اكتشف آلهة متعددة في الأرض وفي السماء ذكرانا وإناثًا لم يبيِّن كم هم الذكور من الآلهة وكم هن الإناث ؟!! وكم يسكن في

السماء منهم وكم يسكن في الأرض ؟! وهل يعبد مفكر العصر الذكران أم يعشق عبادة الإناث من تلك الآلهة ؟! وهل تلك الآلهة متساو عدد الذكران والإناث في الأرض وفي السماء ؟! وهل لكل إله خلق يختص به في السموات والأرض؟

أما كانوا متفقين على دمج مخلوقاتهم في هيكل واحد وإطار واحد؟! وما هو الحل فيما لو حصل بين الآلهة تنافس في الهيئة والشكل وفي الهيمنة والتسلط من أجل تمييز مخلوقات كل إله منهم ؟! بحيث من الممكن أن يخطر على بال أحدهم أن يأتي بإبداع في مخلوقاته يعجز نظيره أن يوجدَ مثلها، ويدب الحسد والغيرة في قلوب بعض الآلهة ويتأصل العداء وتتسع شقة الخلاف، ثم ينتج من جراء ذلك حروب ومعارك بين الآلهة ينفرد كل إله بما خلق ثم تكون الخلاصة أن ينتج من جراء ذلك نهاية العالم؟! قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. [المؤمنون: ٩١، ٩٢]، وقوله - جل عن الشريك والند: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا﴾؛ ففي هاتين الآيتين من كتاب الله العزيز إشارة واضحة بحصول الفساد مع تعدد الآلهة، وأن كل إله سيغار على خلقه وينافس على كمال ذاته وسلطانه، ولذلك ضرب الله مثلا بالعبد المملوك لمالك واحد والعبد المملوك لعدد من الشركاء فقال جل شأنه: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]؛ ففي هذه الآية توضيح وبيان لحادثة الشركاء: رجل فيه شركاء وليس بين الشركاء اتفاق؛ فالمشاكسة والخلاف مستمران، وهذا المملوك كلما يأتي عند واحد من الأسياد يكلفه من الأعمال ما لا يطيق، وإذا تضجر من كثرة ما يكلف من الأعمال الشاقة ضرب، وقيل له: إنك تعمل لفلان وفلان أكثر مما عملت لي! فيضرب ويهان ويكلَّف فوق طاقته، ثم يذهب للشريك الثاني ويعامله بأكثر مما عامله الأول؛ فهو في شقاء وشقاق، وعذاب مستمر، وأعمال شاقة متواصلة بلا رحمة، فهل يستوي هذا المسكين مثلا برجل مملوك لرجل واحد لا يكلفه من الأعمال إلا ما يطيق، ويتلقى الأوامر من مصدر واحد ومن رجل واحد، فهو يجد الراحة والسعادة والشفقة والرحمة والعناية؛ فهل يستويان مثلًا؟! **﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾**.

إن تعدد الآلهة قد يكون سببًا في ضعف الاتباع حين تصدر من كل إله أوامر يناقض بعضها بعضًا، إن المجتمع الذي تصدر إليه الأوامر من جهات متعددة ومتضاربة يبقى في حيرة من أمره لا يدري من يطيع وأوامر من ينفذ، ولذلك قال يوسف عليه السلام: **﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [يوسف: ٣٩، ٤٠].

وقال زيد بن عمر بن نفيل:

أربا واحدا أم ألف رب ... أدين إذا تقسمت الأمور

إن كل شيء سوى الله خاضع لإرادته وقهره، ومستسلم لسلطانه ومذلل لقضائه وقدره؛ إن نزل به خير فهو من الله، وإن نزل به ضر فلا يكشفه إلا الله، والله وحده هو المحيط بخلقه، وهو النافع الضار؛ قال جل جلاله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾. [الزمر: ٣٨].

إن العبادة والإلحاح في الدعاء والتضرع لا يكون إلا لله وحده؛ قال جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾. [الأحقاف: ٥، ٦]، وإذا نزل بعبد من عباد الله كارثة، أو حلَّت به مصيبة، أو مسَّه ضر، فلا يزيل الكارثة ويَجبر المصيبة ويكشف الضرر إلا الله؛ قال عز وجل: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، ومن هنا يتبيَّن سقم عقل من يدعو مع الله غيره كائنًا من كان، وإن من السقم المضاعف والكارثة المزدوجة المؤلمة المدمرة القاتلة أن ينتصب من يوهم نفسه أنه مفكر ومبدع ليظهر على الأمور بهذا الجهل الفاضح.

والغريب أنه يحمل أعلى لقب الشهادات العالمية، ثم يدس عقله

في التراب ويزعم أن مع الله آلهة أخرى، وأكبر كارثة و جائحة لا تبقي ولا تذر – أن يعيَّن مثل هذا يعلم أولاد المسلمين مبادئ الوثنية الجاهلية والإلحاد السافر في جامعات المسلمين، ثم يستتر بوثنية حرية الفكر؛ إن مثل هذا الجهل في الحقيقة وصمة عار على البلد الذي يأوي مثل ذلك المسكين، وإذا كان الفكر بهذه المثابة من الركاكة، فسلام ومليون سلام ومليار تحية على جهل العجائز!

رسالة إلهية إلى نبي مرسل

يُعْرَضُ الملكُ على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بمكة فلم يقبله، فماذا يقول خليل عبد الكريم؛ قال: "إن الإسلام ليس إلا تجربة فجَّرها محمد، وساهم الصحابة معه في تجسيدها لإقامة دولة قرشية!"

ويقول الوثني صاحب الآلهة المتعددة سيد القمني في كتاب "رب الأزمان": "إن جد الرسول عبد المطلب كان يسعى للزعامة وإقامة دولة هاشمية، وذلك هو الذي دفع أولاد عبد المطلب إلى مساندة الإسلام؛ ليحققوا من خلاله حلم جدهم".

وفَسَّرَ ذلك بقوله: وهذا وضع طبيعي لكي تبدو الرسالة النبوية طبيعية ومتوافقة مع ظروف الأوضاع العامة لمن نزلت فيهم".

وهذا هذيان باطل لا يقل ركاكة عن فرية الآلهة المتعددة، وافتراءات يتبيَّن بطلانها من عدة وجوه:

أولا: إن الجهل والكذب هو خلق المهزومين الذين يتلقون أفكارهم من عدو ملتهم؛ فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم يقصد تأسيس دولة ويريد الملك كان قبل ذلك من قريش حين عرضوا عليه الملك بدون عناء.

حيث أورد ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي، قال: حدثت عن عتبة بن ربيعة وكان سيدا أنه قال يومًا وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده – فقال: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد وأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها شاء ويكف عنا؟

وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقم إليه فكلِّمه. فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفَّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفَّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني، أعرض عليك أمورًا انظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قل يا أبا الوليد أسمع**».

قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد شرفًا، سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد

ملكًا، ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبريك منه. فلما فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال: «**أَفَرَغْتَ يا أبا الوليد؟**». قال: نعم. قال: «**فاسمع مني**». قال: افعل. قال:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**، ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾». ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليها يستمع منه، حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: «**قد سمعت أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك**». فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها لي، خَلُّوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأٌ، فإن تُصِبْه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزُّه عزكم، وأنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه! قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم.

ثانيا: أورد ابن هشام أن صناديد قريش وأشرافهم من كل قبيلة

وهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والنضـــر بن الحارث وأبو البختري بن هشام والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بـــن أبي أمية، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف – ذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، إنا قد بعثنـــا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك؛ لقد شتمت الآباء، وعبـــت الـــدين ، وشتمت الآلهة وسفَّهْتَ الأحلام، وفرَّقْت الجماعة، فما بقي أمـــر قبيح إلا قد جئت به بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثـــر مـــالا، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسوِّدك علينا، وإن كنـــت تريد مُلكًا ملَّكْناك علينا... إلى آخر ما قالوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلـــب أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتابًا وأمرني أن أكون لكـــم بشـــيرًا ونذيرًا فبلَّغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مـــني مـــا جئتكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم**». ا.هـــ.

باختصار من سيرة ابن هشام

ثالثًا: يتضح من هذه العروض المتكررة بالمال والسيادة والشرف والملك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان يهدف للمنصب وتأسيس دولة لقبل؛ حيث قد حصل له المطلوب، ولا حاجة بعـــد

ذلك إلى النزاع والهجرة والتعذيب والمطاردة؛ ولكن الجهل بالإسلام والتَّبعيَّة والشُّبَه الباطلة التي ساقها العلمانيون قادهم إلى نسج الأكاذيب بلا علم ولا خوف ولا وجل.

نبوَّة ورحمة لا ملك وبناء دولة

إن ما زعمه القمني وخليل عبد الكريم تلميذا نصر أبو زيد أن محمدًا كان يهدف من شعار الإسلام للوصول إلى سدة الحكم ليحقق حلم جده عبد المطلب – يظهر أن أصحاب هذا المبدأ ما علموا شيئًا من هدي محمد صلى الله عليه وسلم ولا نظروا فصلاً واحدًا من فصول سيرته العطرة، وإلا فكيف يتمُّ الجمع بين هدي محمد صلى الله عليه وسلم في زهده وتواضعه وعزوفه عن الدنيا وبين ما يدار في بلاط الملوك ورؤساء الدول من بذخ وحب للظهور والترف والتمييز عن عامة مجتمعاتهم؟ وأين وجه الشبه بين هذا وذاك؟ أليس البون شاسعًا والفرق واضحًا وليس هناك نسبة للمقارنة ولا وجه للشبه؟

فمثلاً: نجد الملوك ورؤساء الدول يهتمون بجمع الثروات لأنفسهم وأسرهم وأبنائهم من بعدهم، وفي الوقت نفسه نجد النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم يحزم الحجر على بطنه، ومات ولم يشبع من خبز الشعير، أخرج البخاري والنسائي وأحمد عن الصحابي عمرو بن الحارث، قال: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع من خبز الشعير، وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سلاحًا وبغلتَه وأرضًا جعلها صدقة.

وروى البخاري والترمذي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهون عند يهودي فما وجد ما يفكُّها حتى مات، ومات وما شبع من خبز الشعير يومين متتالين؛ فهل هذه حياة من يقصد الملك والتَّرفُّه وحياة البذخ والتَّرف؟!

أخرج مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم عن عائشة قالت: ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى أصحاب الكتب الستة في خصومة العباس وعلي عند أبي بكر بشأن ما يخص كل واحد منهما مما تركه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر للجالسين بمجلسه: أُنشدكم الله، هل سمعتم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا نُوَرَّث، ما تركناه صدقة**». قالوا: بلى والله.

فهل كان هدفُ النبي صلى الله عليه وسلم الملكَ وامتداد السلطان ثم يموت وهو على تلك الحالة من الفقر في المال والعدم من متاع الدنيا؟! وعن أبي هريرة وعائشة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا نورَّث ما تركناه صدقة**». رواهما البخاري ومسلم ومالك وأحمد.

وعن عائشة قالت: "ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم درهمًا ولا دينارًا ولا شاة ولا بعيرًا ولا عبدًا ولا أمة". رواه مسلم وأحمد وأصحاب السنن.

فهل من يَرُدُّ الملك وتشييد السلطان يكون هذا حاله؟!

روى البخاري عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**». فهل هذه أخلاق وتواضع رؤساء الدولة والحكومات الذين ينفقون الملايين لمن يبالغ في مدحهم وإطرائهم بالحق وبالباطل؟! وينسب لهم ما فعلوه وما لم يفعلوا؟!

لا تقوموا لي

كان الصحابة يتفانون في حب النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث لم يحب زعيمًا أصحابُه مثل ما كان يحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا مع حبهم الشديد له وتفانيهم في إكرامه وإجلاله لا يقومون له عند قدومه؛ لما يعلمون من كراهيته للقيام له، وقد ورد في قوله: «**لا تقوموا لي كما تقوم الأعاجم لأمرائها**».

وكان يجلس صلى الله عليه وسلم حيث ينتهي به المجلس، لا يقيم أحدًا من مجلسه، ولا يخلِّف أحدًا في مقعده. رواه الطبراني والبيهقي. فهل يقاس هذا الخلق وهذا التواضع وتلك الآداب النبوية الكريمة بما يُفْعَلُ لملوك العالم وزعماء دولهم؛ حيث تُساق الجماهير لاستقبال الزعيم وتخرج المدن عن بكرة أبيها للتصفيق والهتاف المتصاعد وهو منتفخ الأوداج تكاد نفسه تطير بهجة وسرورًا وكبرياء وعظمة؛ لما يشاهد من الابتهاج ويسمع من الهتاف، ثم يجلس بالمنصَّة العالية الرفيعة، ويكون مجلسه مميَّزًا عن بقية المجالس كلها، ولا يستطيع أحد أن يجلس حتى يأخذ ذلك الزعيم مجلسَه

المخصَّص له؟! فأين الفرق؟!

روى أبو داود بسند جيد عن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا وابن سيدنا. فقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**». قلنا: وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طَوْلًا. قال: «**قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان**».

وعند النسائي بسند جيد عن أنس أن أناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال صلى الله عليه وسلم: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم ولا يستهوينَّكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**».

وأورد الترمذي في الشمائل عن عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغلي ثوبه، ويحلب الشاة، ويخدم نفسه، ويكون مع أهله في شغل المنزل.

* * *

ليس له صلى الله عليه وسلم حارس ولا يُعرف له حاجب

من المعروف عن دول العالم في القديم والحديث وكل ملوك العالم وزعمائهم أنهم يخصصون عددًا من ألوية الجيش تعرف

(بالحرس الملكي، أو الجمهوري، أو الأميري) مدجَّجين بأحدث الأسلحة، بين كل فرد من جنود وضباط صف وجميع أصناف الرتب مسافات متقاربة على مدار الأربع والعشرين الساعة، يتناوبون للحراسة المكثفة، وهذا جائز من باب الحذر وأخذ الحيطة.

إلا أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما كان يُعرف له حراس ولا حُجَّاب، لا في إقامته ولا في وقت سفره، وما كان له حاجب يقف على باب داره بالسلاح ليحميه من كيد الأعداء، وكان بارزًا لكل الناس حتى في زمن الخوف واشتداد البأس، لا يُعرَف عنه أنه اتخذ حرَّاسًا يحرسونه، رغم كثرة أعدائه المتربصين به من المشركين واليهود والمنافقين في داخل المدينة وخارجها؛ ففي أحلك المواقف في غزوة ذات الرقاع التي شُرِّعت فيها صلاة الخوف ما كان عنده مَن يحرسه إلا الله، وهو القائل: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]؛ ففي الصحيحين وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نَجْد، وحين قَفَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مشى حتى أدركته القافلة في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة سمرة فعلَّق سيفَه.

قال جابر: فنمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا، فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا! فقال لي: من يمنعك مني؟ فقلت له: الله، فها هو ذا**

جالس». و لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية غير الصحيحين: حين قال الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم: من يحميك مني؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**الله**». وسقط السيف من يده، فأخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**وأنت من يحميك مني؟**» فقال الأعرابي: لا أحد. فعفَى عنه، والرجل صاحب القصة اسمه غورث بن الحارث؛ فحين رجع إلى قومه قال: جئتكم من عند خير الناس. ذكره القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. [المائدة: ٦٧].

وفي قصة عمير بن وهب التي ساقها ابن هشام في السيرة وغيره: أن عمير بن وهب ذهب ليقتل النبي صلى الله عليه وسلم بتحريض من صفوان بن أمية، فحين قدم عمير المدينة متوشحًا سيفه الذي وضع فيه السم ليقتل به النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله: «**ما جاء بك يا عمير؟ وما بال السيف في عنقك؟**» قال: جئت لفكاك أسيري. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلتَ: لولا دَينٌ عليَّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدًا. فتَحَمَّلَ لك صفوان بدَيْنك وعيالِك على أن تقتلني، والله حائلٌ بينك وبين ذلك**». فصدَّق عمير قولَ النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: أشهد أنك رسول الله، والله إن هذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان! فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق.

والشاهد من هذين الخبرين أنه صلى الله عليه وسلم ليس لــه حارس ولا حاجب حتى في حضرة العدو ومواطن اللقاء، فهل مَــنْ كانت هذه صفاتِه هو الذي يريد بناء دولة وتشييد مملكة؟!

أفلا يستحيي تلاميذ الخواجات وعملاء التبشير وأقزام الأقــزام أن يَصِفُوا سيدَ الخَلْقِ بأنه ينتحل الكذب على الله وأنه يُزَوِّرُ دعــوةَ الإسلام كحيلة لتوصله إلى الملك والسلطان، لا لأن القرآن وحــي منزل من الرحمن ورسالة ربانية سامية، ومعجزة خالدة باقيــة، لا شك أن هذه الأفكار مستوحاة من عقد خصوم الإسلام الإفــرنج، ومصبوغة بصبغ عملية غسيل الأدمغة التي صــبغت بهــا عقــول الأتباع، ونَفَثَها الأسيادُ في رَوْعِ العبيدِ المتفرنجين العملاء؟!

القرآن يتحدَّى

القرآن أنزله الذي خلق الإنسان، فكان المعجزة الخالدة، أنزله الله على صفوته من خلقه وإمام الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، ولم ينزله الله على ملك أو رئيس دولة أو زعيم من زعماء الأرض؛ وإنما أنزله على خاتم الأنبياء وإمامهم وأفضلهم، لذلك بقيت معجزة القرآن تتجدد وإعجازه يتجلَّى ولمعرضــيه يتحــدى في أســلوبه ومعانيه، ويشرق تأثيره في نفوس أهله وخاصته، تحدى بــه الــنبي الأمي العربي صلى الله عليه وسلم كلَّ خصومة المعارضين، فهزمهم بإذن الله فهبطوا، وهو في صعود مستمر؛ لأنه كــلام الله وصــفته الملازم لذاته الكريمة، أنزله الله جل شأنه على من شَرَّفه وعصــمه واصطفاه ورفع ذكره واجتباه بنور وحيه.

بخلاف ما تُرَدِّدُه أبواقُ الإعلام وما تخلع على القائمين عليهـــا، وما تحللهم به من نعوت وإطراءات ومحامد لم يوصف بها أنبياء الله ورسله من أمثال: "فلسفة الثورة، والكتاب الأخضر، وأمثالهما التي روَّجت لها وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة من إذاعات وتلفـــاز وصحف ومجلات ودور نشر، وعقدت لها محاضرات وندوات يبثها الإعلام الصاخب في مدار أربع وعشرين ساعة دون انقطاع، ترفع من نُسبت إليهم إلى مقام الربوبية، وتصفهم بصفات الألوهيـــة، إلا أنها لما كانت لا ترتكز على حقائق ثابتة؛ وإنما هـــي مـــن صـــنع المحترفين المتزلِّفين، عاشت حينا من الدهر حياة عقيمة ثم ماتت موتًا أبديًا قبل موت أصحابها.

أما القرآن الكريم الذي اقتحم أقفال قلوب المؤمنين فما كـــان ليكون معجزة خالدة لولا أنه تنزيل ممن خلق الأرض والســـموات العلا، نزل به الروح الأمين بلسان عربي مبين، تَحَفُّه العصمة ممـــن أنزله، وترعاه العناية ممن هو كلامه، ويشده التأييد ممن يعلم الســـر وأخفى، لم يقم له معاند إلا هزمه، ولا تحداه متحدٍ إلا ألجَمَه، ولا تطاوَلَ عليه متطاوِلٌ إلا دَقَّه وحطَّمه، وقد اعترف أَلَدُّ خصـــومه في زمنه ووقت نزوله (عتبة بن ربيعة) وهو من فصحاء العرب وأرباب البلاغة والبيان، وهو مِمَّنْ نَزَلَ القرآن بلغتهم فقال قولته المشهورة: والله لسمعت قولًا ما سمعت مثلَه قَطّ، والله ما هـــو بالســـحر ولا بالشعر ولا بالكهانة، والله ليكونن لكلامه الذي سمعت نبأٌ عظيم.

وقال الوليد بن عتبة – وهو معروف بعدائه للنبي صـــلى الله عليه وسلم وللإسلام ومات هو وعتبة بن ربيعة السابق ذكره وهما

كافران ببدر - يقول الوليد: والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة، وإنه ليدق ما تحته، وإنه ليعلى ولا يُعلى عليه.

تحدى الله به جميع الخلق من عرب وعجم، إنس وجان، طعن كفار مكة في صحة القرآن وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما يعلِّمه القرآنَ بشرٌ! قال جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

عندها أعلن القرآن عليهم حربَ التحدي فأعجز أهل الفصاحة والبيان بعبارات سهلة وفي الوقت نفسه محرجة، فبدا عجزُهم الوضيع أمام إعجاز القرآن الرفيع، وكأنه يقول لهم: إذا كان محمد إنما يعلمه بشر واحد، فاستعينوا أنتم بكل البشر، وليعلمكم كلُّ الخلق بمثل الذي عَلَّمَ به بشرٌ واحدٌ محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ قال عز وجل: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. [الإسراء: ٨٨]، إنه تَحَدٍّ رهيبٌ وإذلالٌ لِمَنْ أَخَذَتْهُم العزةُ بالإثم، وغمرهم الكبرياء، وليس ذلك التحدي لكفار قريش الذين أُنْزِلَ القرآن بلسانهم؛ وإنما تحدى به جميع المعاندين في القديم والحديث عربًا وعجمًا، وإنسًا وجنًا؛ لأنه نَزَلَ بِعِزَّةِ العزيز الحكيم، وأَيَّدَتْهُ قُوَّةُ الكبير المتعال.

ثم هو لم يَكْتَفِ أن تحدَّاهم بالقرآن كله؛ فعاد فتحدَّاهم بأن

يأتوا بعشر سور فقط من مثل القرآن؛ حتى يُصَوِّرَ لهم ضعفَهم وقلةَ حيلتهم، فقال عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، ثم استمر في تحديه لهم بالعَدِّ التَّنازلي؛ فبعد أن تحدَّاهم بالقرآن كلِّه بدأ عجزُهم وانهارت قُواهم، فخفَّف التحدي فأمرهم أن يأتوا بعشر سور من مثل القرآن ويستعينوا بكل من يشاؤون، فجبنوا وتنصَّلوا، ثم خَفَّف التحدي إلى أن يأتوا بسورة واحدة فقط من مثل هذا القرآن المجيد[1]؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾. [البقرة: ٢٣، ٢٤]، وحينما تَحَدَّاهم في الجولة الأخيرة بأن يأتوا بسورة واحدة ثم أقفل عليهم خطَّ الرَّجْعة بقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾؛ بصيغة النفي الجازم ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ في الحال، ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ في المستقبل، عندها خارت قُوَاهم وظهر عجزهم وتحطم كبرياؤهم، وفي آية سورة "يونس" يكرِّر التحدي لهم بأن يأتوا بسورة واحدة ويستعينوا على ذلك بكل مَنْ دون الله، فَبُهِتَ أهلُ الكفر والعناد؛ لأن الذي أنزله هو المهيمن على كلِّ مَنْ خَلَق.

قال جل جلاله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ

---

(١) لفظة (سورة) في الآية الكريمة مطلقة، فتعم كل سور القرآن عمومًا بدليًا وأقصر السور "سورة الكوثر" وهي ثلاث آيات قصيرة فقط.

وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾. [يونس: ٣٨، ٣٩].

* * *

الإعجاز يَتَجَلَّى في الآتي

أولًا: قالوا: إن القرآن لم ينزل على محمدٍ بوحيٍ من الله؛ وإنما كان يعلِّمُه بشرٌ من الناس، فَوَجَّهَهم القرآن إذا كانوا في ريب من تنزيله أن يأتوا بكل الإنس عربٍ وعجمٍ، وبكل الجن، ويشمل هذا مَنْ زعموا أنه كان يُعَلِّمُ محمدًا، فليأتوا به مع بقية الإنس والجن فيعلموهم مثل ما تعلَّمه محمدٌ من رجل واحد، وعندها يكسبون الجولة ويفوزون بالتَّحَدِّي.

ثانيًا: إذا كان ذلك التَّحَدِّي الصارخ قد أعيى كفار قريش، وهم أفصح العرب، والقرآن نزل بلغتهم، ولم يستطيعوا أن يَثْبُتوا أمام التَّحَدِّي أو يأتوا بسورة واحدة من مثله، وهم من أشد الناس حرصًا على تكذيبه، وقد خَيَّمَ عليهم السكوت الرهيب بعد عنادهم الصارخ، ولو كان باستطاعتهم تحقيق شيء من ذلك لاستماتوا في تحقيق أمنيتهم حتى يكسبوا جولة النصر في مباراة يتحقَّق لهم فيها الفوز وتكذيب عدوهم وهزيمتهم في التحدث؛ بحيث إن المجال مفتوح أمامهم، والتحدي مستمر إلى يوم القيامة.

ثالثًا: لقد تأكد من خضوع قريش للهزيمة واستسلامهم لتحدي

القرآن الكريم أن القرآن كتاب الله المنزَّل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه حجةُ الله القائمة ودليلُه القاطع على عجز الناس عمومًا في كل زمان ومكان أن يأتوا بسورة من مثله.

رابعًا: إذا كان ملوك اللغة العربية وفرسان البلاغة القرآنية من العرب الذين أنزل القرآن الكريم بلسانهم قد عجزوا عن كشف حُجُبِ البيان القرآني وإعجازه، فكيف يتصدَّى للطَّعن فيه عملاء تخرجوا في جامعات العجم التي ما قبلوا فيها إلا ليكونوا حربًا على الإسلام والمسلمين، وأدوات تستعمل لتدمير معتقداتهم؟!

فهل يفقه العلمانيون العرب هذا؟ وكيف غفلوا عن هذه المبادئ السامية الدامغة: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

مات فرعون و فكرُه باقٍ

يقول الدكتور سيد القمني في كتابه "رب الأزمان": نحن علماء مجتهدون ولا يحق لأحد أيًّا كان مراجعة فكرنا، وليس للدين ولا للمتدينين علينا وصاية، والقرآن يعطي الحق المطلق في حرية العقيدة والفكر.

وقال: إننا اليوم قادرون على أن نفهم ديننا أفضل مما كان يفهمه الصحابة! واستطرد قائلا أنه لا يسمح أن يسأله أحد عن عقيدته الدينية؛ لأن من يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى توكيل من الله، والإسلام لا يعرف التوكيلات، وأنا

مواطن في دولة مدنية، ولست فردًا في دولة الخلافة الإسلامية! والمشايخ لا يدعون إلى مصادرة كتبي؛ بل إلى قتلي واغتيالي؛ ولكن أفكاري ستبقى مخلدة!!

أقول: إن التاريخ لا يرحم ولا يجامل ولا يحابي ولا يبخس ولا يداهن ولا يظلم أحدًا على حساب أحد، فما يكتبه أصحاب الأفكار السليمة، وحتى المنحرفة ستبقى مخلدة، كما أبقى الله جل شأنه فكر الأنبياء والصالحين؛ حيث سَجَّلَ فكر أبي بكر الصديق وعدله وهو يخاطب النخبة المختارة من صحابة محمد صلى الله عليه وسلم حين قال قولته الخالدة: "أيها الناس، لقد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، ولكني أثقلُكم حملًا؛ فإن رأيتم مني خيرًا فأعينوني، وإن رأيتم شرًا فقوموني". وبقيت دعاوى الفراعنة والملحدين مخلدة كما هي؛ فهناك فكر فرعون وكفره حين سجَّله الله عز وجل عليه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]؛ ففكر الصالحين يتوارثه أتباعهم إلى يوم القيامة مع حسن الثناء، وفِكْرُ الملاحدة يتوارثه أتباعُهم إلى يوم القيامة مع الخيبة وانقطاع الأمل، وكُلُّ خَلَفٍ يُرَدِّدُ مقالةَ سَلَفٍ في الخير والشر؛ انظر إلى فرعون عليه من الله ما يستحق وهو يُوَجِّهُ فكرَه إلى قومه في مقام الشورى حين قال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾. [غافر: ٢٩]: يتضح من الآية الأولى أن فرعون طَلَبَ مِنْ مَلَئِه الموافقةَ على قتل موسى عليه السلام خوفًا من أن يُغَيِّرَ عليهم دينَهم – أي ألوهية فرعون – ويصرفَهم عنها إلى عبادة من خلق

الأرض والسماوات العلى، وأخوف ما يخاف فرعون من موسى أن يفسد في الأرض! وهذا في عرف فرعون هو فساد في الأرض!

وفي شطر الآية الثانية يبدو فرعون واعظًا ومُـذَكِّرًا ومُحَـدِّثًا وداعيةً مرشدًا إلى سبيل الهدى والصلاح، قال: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، ويقول في مقام آخَر مثبِّتًا قومه على العقيدة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾. [القصص: ٣٨].

هذا هو فكر فرعون وكفره وكبرياؤه وغطرسته، سجلها القرآن الكريم مع قبيح فعله وتخليد ذكره في نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ثم ذهب الملك والسلطان وبقيت تبعاته المخزية وآلامه الدائمة.

كما قَصَّ الله في كتابه الكريم فِكْرَ أعداء موسى وجبابرة الدنيا أخبرنا الله عنهم حين جاءهم موسى بالبينات ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٤]، وفي فكر قارون إذ زعم أن كلَّ ما حصل له من مال وجاه أتاه بعد دراسة منه وتخطيط وتَعَمُّق حصل عليه بعلمه ومهارته؛ حيث قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، وأورد جَلَّ شأنُه فكر وكفر قوم نوح إذ قالوا: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾. [هود: ٢٧]، وكذلك فكر قوم عاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين؛ فخَلَّد ذكرهم بأسوأ صورة، وكذلك هؤلاء يريدون تخليد ذكرهم بإعلان الكفر ودعواهم أن مع

الله آلهةً تعبد في الأرض والسماء وسب الإسلام ورسول الإسلام وشعائر الدين الإسلامي الحنيف، وكأنهم لم يجدوا طريقًا لتخليد ذكرهم أسهل عليهم من سب الإسلام والجهر بالإلحاد والتشنيع على محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته وأصحابه الغُرّ الميامين.

* * *

إيمان الصحابة وفضلهم

الله يثبت إيمان الصحابة ويثني عليهم، والعلمانيون يرون تقديسهم جريمة وكارثة، ثم يقول القمني - فَضَّ الله فاه - محذِّرًا من مَغَبَّةِ تقديس صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم!! قال: «لا ينبغي أن نفرِّط في تقديس الصحابة؛ فهم رجال ونحن رجال، وهم يخطئون كما نخطئ، والإسراف في تقديسهم أحد أسباب الكارثة التي نعيش فيها، حتى صرنا نضع أمامنا محرَّمات مِنْ صُنْع أنفسنا تمنعنا من حرية التفكير وقَدَّسْنا أشخاصًا غير مقدسين». كما اتَّهم الخليفةَ الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان غيرَ صالح للخلافة وغيرَ سويٍّ ليكون خليفة، وأنه - أي القمني - مجتهد كما اجتهد عثمان.

من نصدق يا ترى: كلام الله العزيز الحكيم أم كلام ملحد القرن العشرين الذي أسعفته ا لتجليَّات الشيطانية حين زعم أن مع الله آلهة متعددة ذكورًا وإناثًا؟! سبحان الله وتعالى عما يشركون؛ فالصحابة الكرام أهل السبق الأول وأهل الفضل الأول بعد فضل

الله جل شأنه حين مهدوا للبدو الرحل من العرب الطريق فملكــوا المشارق والمغارب، أما أصحاب الفكر العلماني الدخيل فماذا قدَّموا للعرب إلا النكبات المتتالية؟! إن المستعمرَ الدَّخيلَ لم يستعمر أرض العرب إلا بعمالة أمثالهم؛ فهم عَوْنٌ لكلِّ مستعمر دخيــل لــبلاد المسلمين.

ثم لا يستحون أن ينتقصوا أكرمَ الخلق على الله بعــد الأنبيــاء والرُّسل؛ قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُــمْ إِلَّــا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْــهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَــا بَــدَّلُوا تَبْــدِيلًا﴾. [الأحزاب: ٢٢، ٢٣]، أليس المقصودُ بالمؤمنين الصادقين في هاتين الآيتين هم الصحابة الكرام، ومنهم المهاجرون الذين أخرجوا مــن ديارهم وأموالهم؟! قال سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِــنَ اللهِ وَرِضْــوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾. [الحشر: ٨]، ومَنْ هم الذين تبوؤوا الدار والإيمان؟ قال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ تَبَــوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِــي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشــر: ٩]؛ رَوَى البخاريُّ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه**

وسلم؟ فيقولون لهم: نعم. فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمـــان فيغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من صاحب أصحاب رســـول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم». هذا لفظ البخاري.

وأورد البخاري ومسلم وأصحاب السنن عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**». قال عمران: فـــلا أدري أَذَكَرَ بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا، ثم إن بعدكم قومًـــا يشـــهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يَفُون، ويظهـــر فيهم السمن، وروى البخاري والترمذي عن عبد الله بن مســـعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تســـبق شـــهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**».

وروى الجماعة إلا النسائي عن أبي سعيد الخدري رضـــي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلـــغ مـــد أحـــدهم ولا نصيفه**».

وروى الإمام أحمد في المسند والترمذي عن عبد الله بن مغفـــل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الله الله في أصـــحابي،**

الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه».

وفيما يختص بالأنصار فقد روى البخاري ومسلم والترمذي عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - أو قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**». وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**». رواه البخاري في باب حبِّ الأنصار، كما ورد في فضل الأنصار أحاديث كثيرة أكتفي بما أوردت هنا، هذا ما تيسر من الرد على ملاحدة العصر، أرجو بها رضوان الله ويوم تنقطع الآمال إلا منه وحده لا شريك له، وسوف أورد عددًا من آيات كتاب الله الواردة في فضائل الصحابة رضي الله عنهم جميعًا تحت عنوان (ليغيظ بهم الكفار) إن شاء الله تعالى.

الطعن في مجتمع الصحابة الأبرار

ومنهم خليل عبد الكريم عضو أمانة حزب التجمع اليساري في كتابيه (مجتمع يثرب) الذي يقع في ٩٩ صفحة، ومملوء بالمفتريات على أكرم وأطهر وأشرف مجتمع خلقه الله؛ فذلك الملوِّث يجرِّد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل الأخلاقيات والقيم، ويصفهم بالدعارة والشذوذ والتشوف للنساء في مواسم الحج

وغيره، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما نهى الصحابة عن دخولهم المدينة ليلا حتى تمتشط الشعثاء وتستعد المغيبة إلا خوفًا من أن يلقى الرجل زوجته في وضع يكرهه من الناحية الأخلاقية.

وهذه الصيحات الجوفاء وتلك الأقلام المأجورة تحاول أن تلصق قذاراته وشيئًا مما يدور في مجتمعها العلماني، تريد أن تلصق عفنها وخلاعتها بأطهر مجتمع عرفه التاريخ منذ خلقت الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثم قال: وقيل أن بعض الصحابة خالف هذا الأمر وطرق أهله ليلا ففوجئ بزوجته في أحضان رجل، وكان من المحتَّم اللازم أن يتوقع ذلك، أليس هو ابن مجتمع يثرب؟!

قلت: إن هذا الإنسان الوضيع المفلس من كل القيم والأخلاق قد امتلأ قلبه بالحقد على الإسلام والمسلمين، وإلا فكيف يصوب مثل هذا التهكم ضد أشرف بلد وسكانه هم ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. [آل عمران: ١١٠]؛ كيف يُوَجَّه هذا السَّفَه إلى بلد الأطهار وخيرة الأخيار في تَهَكُّمٍ ساخر وضيع؟! أليس هذا مجتمع يثرب؟! إذًا فماذا يُنْتَظَرُ مِنْ هؤلاء الهمج الرِّعاع وهم يردِّدون صدى كل ناعق؟! يميلون مع عَدُوِّنا حيث مال، ويتجهون معه حيث اتجه، يميلون مع كل ريح؛ فهم لم يدخلوا الإسلام ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

ثم يبالغ في إساءته لرسول الله المعصوم صلى الله عليه وسلم قائلًا: ومن الواضح أن محمدًا ما نهى صحبه عن دخول بيوتهم ليلاً

إلا ليجنبهم المرور بتجربة قاسية تحطم معنوياهم وتمنعهم من الانخراط مرة أخرى في غزواته وبعوثه!! ويضيف المؤلف قائلا: إن محمدًا الحصيف كان يعرف أن الليل هو الوقت المفضل لتلاقي الأخدان، خاصة في ذلك الزمان؛ إذ لم تكن إنارة الشوارع والطرقات قد عرفت؛ الأمر الذي يمكن الدخول والخروج بأمان؛ لهذا نهى محمدٌ أتباعَه عن الدخول على الزوجات في ظلمة الليل؛ حتى لا يفاجَئوا بما لا يسر ويفزعهم ويدفعهم إلى الإحجام عن الخروج للجهاد. اهـ باختصار.

أقول: فلتقر أعين المنظمات الماسونية ومنظمات التنصير والغلاة من فرق الرافضة بهذا السَّخَفِ والهراء والأكاذيب التي قدَّمها ويقدمها أبناء جلدتنا ومَنْ يتكلّمون بألسنتِنا ويَنْدَسُّون في صفوفنا ويُدَمِّرون عقيدتنا خدمة لسادهم من دعاة التنصير ومُنَظَّمات الكفر المعادية للإسلام وأهله، عجبًا.. كيف أصبح هؤلاء معاول هدم وأدوات تخريب لدين محمد ورسالة محمد وأمة محمد صلى الله عليه وسلم! استحوذ عليهم الشيطان وكشفوا عن وجوههم الكالحة المُلَطَّخة بِخِسَّة الطبع اللئيم ووقاحة الخيانة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً.

ومما يؤسَف له ويضاعِف المصيبةَ أن تلك المفتريات أُعلنت في بلدٍ عربيٍّ إسلاميٍّ كان ولا يزال ينتج العلماء والمصلحين وعباقرة الرجال ويحوي معلمًا تاريخيًا إسلاميًا حضاريًا، إلا أنهم لم يفعلوا ذلك إلا حين أمنوا العقاب وأعلنوا بصراحة وقحة أنهم ليسوا في دولة الخلافة الإسلامية، وهذا يعني اعترافًا صريحًا بأنهم لا تربطهم

بالإسلام رابطةٌ؛ لأهم ليسوا في دولة إسلامية كمـا وصـفوا بـه حكومة مجتمعهم، و لم يتجرأ أولئك على النطق بـالكفر الصـريح وتقريره إلا في ظل القوانين المستوردة العلمانية التي تحمي هـؤلاء الزنادقة بدعوى أنهم أصحاب رأي وفكر وثقافـة، ومـا هـم في الحقيقة إلا جهلة أدعياء وأذناب وسماسرة وعون للحاقدين علينـا، وأعداء لديننا وإسلامنا، فيا لله للإسلام ويا لله للمسلمين.

ليغيظ بهم الكفار

رحم الله الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة حين استنبط من قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، قوله: مَنْ أصبح مِنَ النـاس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم فقد أصابته هذه الآية. ذكره أبو بكر الخطيب ونقله ابـن كـثير والقرطبي في تفسيريهما، إن المولى عز وجل رسم للنبي صـلى الله عليه وسلم وصحابته الغر الميامين صورة مشرقة من الثنـاء العطـر والمحامد الكريمة في وصف بديع شيق؛ حيـث وصـفهم سـبحانه بالشدة على أهل الكفر والإلحاد، والرحمة لإخوانهم أهل التقـوى والإيمان؛ حيث عَدَّد سبحانه من صفاتهم الخضوع لله في ركوعهم وسجودهم وقيامهم وقعودهم لطلب العفو من الله والفوز برضوانه، رسمها لهم في ملامح التقوى التي تنير بها وجوههم من أثر السـجود في منظر يُشَوِّق النفس ويبتهج له الفؤاد، بحيث لا يحقد على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا منحرف، ولا يُكِنُّ لهم الكراهية إلا كافر عدو لله ولرسوله ولكتابه وسنة نبيه وشرعه القويم، قـال جل جلاله وهو أصدق القائلين: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَـهُ

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. [الفتح: ٢٩].

يطعن العلمانيون المنافقون المارقون على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم صفوة الخلق بعد الأنبياء عليهم الصلاة وأتم التسليم، وما تأثير طعن الأقزام مع مدح الله وثنائه عليه صلى الله عليه وسلم وعلى صحبه الذين معه؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨]، وقال عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. [التوبة: ١٠٠]، وأعلن الرضوان والسكينة والوقار على محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الأبرار من أهل بيعة الرضوان، قال عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. [الفتح: ١٨]، هذه صفاتهم وهذه صورهم المشرقة الحقيقية، أثبتها الله في كتابه لأحبابه ومن اختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، ورغم ذلك تستمر الحملة المسعورة تُحَرِّكُها

عواصفُ الحقد الغربي لِسَبِّ الدين ورسوله رب العالمين في صلف جبان مكشوف.

وقد أنزل الله في أمثالهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]، ثم قال بعد ذلك: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾. [محمد: ٢٩، ٣٠]، ثم يُوَجِّهُ اللهُ الخطابَ بعد ذلك للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ولصحابته الكرام يخبرهم أنه سيمتحنهم بالمنافقين والمرتدين بقوله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾، [محمد: ٣١]؛ نعم قد كان القرآن واقفًا لهم بالمرصاد ليفضح نواياهم ويكشف مخططاتهم ويحذر حزبه المتقين وأولياءه الصالحين من غَدْرِهم وعمالتهم المستمرة لأعداء الملة الإسلامية في طول الزمان وعرضه، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

الصحابة والعالم

ظهر المسلمون وتزعموا العالم وعزلوا الأُمَمَ المريضة من زعامة الإنسانية التي استغلتها وأساءت عملَها، وساروا بالإنسانية سيرًا حثيثًا متزنًا عادلاً، وقد توفرت فيهم الصفات التي تؤهلهم لقيادة الأمم، وتُضْمَنُ سعادتُها وفلاحُها في ظِلِّهم وتحت قيادتهم.

أولًا: أنَّهم أصحابُ كتاب مُنَزَّلٍ وشريعة إلهية؛ فلا يُقَنِّنُون ولا يُشَرِّعون من عند أنفسهم؛ لأنَّ ذلك منبعُ الجهل والخطأ والظلم، ولا يخبطون في سلوكهم وسياستهم ومعاملاتهم للناس خبط عشواء، قد جعل الله لهم نورًا يمشون به في الناس وجعل لهم شريعة ومنهاجًا يحكمون به بين الناس؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. [المائدة: ٨].

ثانيًا: أنهم لم يتولَّوا الحكمَ والقيادةَ بغير تربيةٍ خلقية وتزكية نفس؛ بخلاف غالب الأمم والأفراد ورجال الحكومة في الماضي والحاضر؛ بل مكثوا زمنًا طويلاً تحت تربية محمد صلى الله عليه وسلم وإشرافه الدقيق يؤدبهم ويؤهلهم ويدربهم على الزهد والورع والعفاف والأمانة والإيثار على النفس والأهل والقرابة ويعلمهم خشية الله في السر والعلن، ويحذرهم من الاستشراف للإمارة والحرص عليها، يقول صلى الله عليه وسلم: «**إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه**». متفق عليه، ولا يزال يقرع أسماعهم قولُ الله عز وجل: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. [القصص: ٨٣]، فكانوا لا يتهافتون على الوظائف والمناصب وتعظيم الكراسي تَهافُتَ الفَرَاشِ على الضَّوْء؛ بل كانوا يتحرجون من قبولها وتقلُّدِها، فضلاً عن أن يرشحوا أنفسهم للإمارة ويُزَكُّوا أنفسهم وينشروا الدعايات لها.

ثالثًا: أهم لم يكونوا خدمة جنس أو رسل شعب ووطن يسعون لرفاهيته ومصلحته وحده ويفضلونه على جميع الأقطار؛ فلم يُخْلَقوا إلا ليكونوا حُكَّامًا، ولم تخلق إلا لتكون محكومة لهم، ولم يخرجوا حبًا للسيطرة وتأسيس دولة لا تغرب عنها الشمس يتكبرون تحت ظلها وفي حمايتها، وإنما حكموها ليعبد الله وحده وليخرجوا الخلق من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، وأن يُخْرِجوهم من ضيق الدنيا إلى سَعَتِها، ومن جَوْرِ الأديان إلى عدل الإسلام، لا فَضْلَ لعربيٍّ على عجمي إلا بالتقوى.

قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص فاتح مصر وحاكمها وقد ضرب ابنُه مصريًا: متى استعبدتم الناس وقد ولدهم أمهاتهم أحرارًا. فلم يبخلوا بما عندهم من دين وعلم وتهذيب على أحد، ولم يراعوا في الحكم والإمارة نسبًا ولونًا ووطنًا؛ بل كانوا سحابة رحمة هطلت على البلاد وعمت العباد وانتفعت بها الأرض على قدر قبولها وصلاحها، في ظل هؤلاء وتحت حكمهم نال كل فرد منهم نصيبه من الدين والعلم وتهذيب الأخلاق وجميع حقوقهم من الدنيا والدين [١].

حبذا أن يقرأ هؤلاء الملاحدة ما كتبه العلماء بأحوال صحابة محمد صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم حين يَصِفون نهجهم وسيرتهم النقية الطاهرة. هذا وصف الرعيل الأول من أصحاب

---

(١) انظر كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين/ لأبي الحسن الندوي فصل عهد القيادة الإسلامية بتصرف واختصار.

محمد فماذا يفهم العلمانيون المارقون وعمـــلاء التبشـــير الصـــليبي الحاقد؟!

يتهمون خالدًا

ويواصل خليل عبد الكريم في كتابه "شدو الربابة في أحـــوال الصحابة" ص١٥٩ نشرَ أكاذيبه ضد سيف الله خالد بـــن الوليـــد رضي الله عنه، وهو سيف سَلَّه الله على أهل الكفر والإلحاد ويتهمه بالزنى مع امرأة مالك بن نويرة، ويَتَّهم خليفة رسول الله صـــلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه بالمداهنة؛ حيث لم يُقِـــمْ حَدَّ الزِّنى على خالد، كما ذكر عددًا من الأكاذيب علـــى بقيـــة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وفي رميهم لخالد بن الوليد رضي الله عنه ووَصْـــفِه وتلبيســـه بأبشع جريمة أخلاقية، ولَمْزهم لأبي بكر رضي الله عنه وهو خـــير الناس كلهم بعد الأنبياء واتِّهامهم إياه بالمداهنة وعدم تطبيق الحـــد الشرعي على خالد، وهذا اتهام قد يؤدي وحده إلى الكفر، فكيف إذا اجتمعت المكفِّرات واستحلُّوا جريمة سَبِّ الصحابة رضـــي الله عنهم، وإلصاق تُهَمٍ مفتراة ومختَلَقَة وتلبيسهم بها وهم أبعد النـــاس عنها وأشد الناس خشية لله وغيرة على محارمه وإقامة شرعه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

إعجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخالد بن الوليد

لا يسلم الشـــرف الرفيـــع مـــن الأذى
حـــتى يـــراق علـــى جوانبـــه الـــدم

ينقم العلمانيون على خالد ومع خالد كـــل عبـــاقرة العـــالم الإسلامي وأفذاذ الرجال من المسلمين، ومِنْ قبلِهم مَنْ هو أعلاهم مرتبة وأعظمهم منزلة وأشرفهم مقامًا.. هو محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهو وصحابته – خصوصًا القادة المشاهير منهم – فهم غيظ الكفار ومَحَلُّ نِقْمَتِهِم، وليس بغريب أن يطعن أذنـــاب الخواجات على مثل خالد إرضاءً لسادتهم؛ فإنهم يموتـــون حســـرة ويعضون الأنامل غيظًا أن يحوي المجتمع الإسلامي في قادتـــه مثـــل خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي لم يُهْـــزَمْ في الجاهليـــة ولا في الإسلام، وهو الذي دَوَّخَ سادة العلمانيين العرب في بلاد الشـــام، وفاتح مدينة دمشق، وقاهر قادة أحزاب الردة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف لا يغيظهم الذي شهد له النبي صـــلى الله عليه وسلم بالنُّبْلِ والشَّهامة ومكارم الأخلاق، وعَيَّنَـــه قائـــدًا للمُلِمَّاتِ العظام، وخَلَعَ عليه لَقَبَ سيف الله المسلول؛ سَلَّه الله على الكفار والمنافقين.

أورد ابن حجر في الإصابة بسند جيد عن أبي هريرة حين مَـــرَّ خالد وهم في مسير لهم فقال النبي صلى الله عليه وســـلم: «**مـــن هذا؟**» فقالوا: خالد بن الوليد. فقال صلى الله عليه وسلم: «**نعـــم عبد الله، هذا سيف من سيوف الله**». وأخرج البخاري وغيره عن

أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراء يوم مؤتة وأخبر أنهم أصيبوا جميعًا فقال: «**وأخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يده**».

نقل الذهبي عن أحمد والبيهقي والحاكم والطبراني بسندٍ جيِّدٍ رجالُه ثقاتٌ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**خالد بن الوليد سيفٌ سَلَّه اللهُ على الكفار والمنافقين**». وروى كلمة «**خالدٌ بنُ الوليد سيفٌ من سيوف الله**» أبو عبيدة عامر بن الجراح وعمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنهم في رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه من حديث طويل؛ يقول صلى الله عليه وسلم: «**إنكم تظلمون خالدًا، وخالد قد احتبس أدراعه وعتاده في سبيل الله**». متفق عليه.

إذًا فماذا يَضِير خالدًا رضي الله عنه أن تنبحه الكلاب أو يحوم حوله الذباب؟ فإنَّ تصاعدَ الدخان الأسود لا يَضِير قِمَمَ الجبال الراسيات، وصاحب الشرف الرفيع مستهدف لسهام كل جبان وضيع، وإن من الشِّعْر لحكمة؛ خصوصًا إذا أصاب كبدَ الحقيقةِ، وجميلٌ قولُ الشاعر:

تسطو الكلاب على أسد الشرى سفهًا
والباز الأشهب يخشى صولة الحجل

والقرد يضحك من نمر على هزو
والكلب يوعد ليث الغيل بالغيل

لا يَعْلَمُون الكتابَ إلا أَمَانِيّ

إن هؤلاء المضلِّلين الذين يزعمون أهم علماء ومثقفون وأهل فكر هم جاهلون بالإسلام كل الجهالة وإن زعموا أهم أهل علم وفكر وثقافة، ودليلُنا على جَهْلِهم واضحٌ من مفترياهم، وهي في نفس الوقت تُرَدُّ عليهم؛ فذاك الدكتور سيد القمني يُمَنِّي نفسَه أنه صاحبُ فِكْر وثقافة وعلم وفقه، قد يوازي فقهُه فقهَ عثمان وعلماء الصحابة رضي الله عنهم، ولكن قد يواجهُه سؤالٌ علميٌّ فكريٌّ ثقافيٌّ: من أين اقتبست يا حضرة المفكر المبدع أن هناك آلهة في السماء تُعْبَدُ مع الله وآلهة في الأرض ذكرانًا وإناثًا؟ من أي مَصْدَرِ فِكْرٍ حَصلت وتَجَلَّت لك هذه الوثيقة العلمية؟!

أكانت هذه الفكرة نتيجة حرية الفكر التي تتهم الصحابة أهم كانوا حَجَرَ عَثْرَةٍ في طريق حرية الفكر؟ أم كانت هذه التَّجَلِّيَّات من فهمك في الدين حين قلت: نستطيع أن نقرأ ونفهم ديننا أفضل مما كان يفهمه الصحابة؟ ثُمَّ على مذهب مَنْ تسير في هذا الاعتقاد الوثني الجديد؟! أهذا هو حصيلة العلم والفكر اللا محدود والاجتهاد وحصيلة الشهادة العالمية العالية؟!

ونرى صاحب الفكر اللا محدود وصاحب فكرة الآلهة المتعددة يَتَصَدَّى للطعن في الأحاديث النبوية التي هي المصدر الرئيسيُّ للتشريع الإسلامي عند المسلمين بعد كتاب الله العزيز، وما يعني دودة القطن من نقد الذهب؟!

يُنْكِرون الأمر بالمعروف في الإسلام

لقد سلك العلمانيُّون الأدعياء سبيلَ اليهود في التَّضْليل والتَّزوير والمغالَطة ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾؛ ليوهموا العامَّة أنَّهم أهلُ فكر وعلم، وحين يَتَمَعَّنُ البصيرُ بأحكام الشرع الإسلامي يجـــدهم صفرًا في معرفة الأحكام الشرعية، وإنما يسيرون على نهج ســـادتهم من أهل الكتاب تقليدًا وثرثرةً بلا وعي حين قَصَّ اللهُ خــبرَهم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْــدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

ينكرون شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويطعنون في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه مسلم والإمام أحمد وأصحاب السنن: «**مَنْ رأى منكم منكرًا فليغيره بيـــده، فـــإن لم يســـتطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمـــان**». يقـــول الدكتور صبحي منصور في كتابه "الحسبة بين القرآن والتراث": إن حديث «**مَنْ رَأَى منكم منكرًا فليغيره بيده**..." الحديث - يزعم أن هذا ليس بحديث، وإنما هو موضوع من اختراع فقهاء الحنابلة، وشَنَّعَ بقذارته ونَتَنه على علماء السَّلف - خصوصًا شيخ الإســـلام ابن تيمية رحمه الله - هكذا قال، ومن قبله سيد القمني الذي يحمل لقب دكتور قال: "إنه لا يسمح أن يسأله أحد عن عقيدته الدينية؛ لأنَّ من يريد أن يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتـــاج

إلى توكيل من الله، والإسلام لا يعرف التوكيلات".

قلت: وإذا كان قد فَضَحَهم جَهْلُهم – يظهر ذلك من كلامهم وفلتات ألسنتهم – فإنه لا يُكْتَرَثُ بكلامِهم، وإنما القصد من تَفْنيدِ مزاعمهم وكشف أكاذيبهم: لئلَّا يُفْتَتَنُ بما يُرَوِّجونه ضدَّ الإسلام ونبي الإسلام وصحابته الغُرِّ الميامين وعلماء المسلمين، ومناصرةً لإخواننا علماء ذلك البلد الذين وقفوا موقفًا مُشَرِّفًا مطالبين بمصادرة تلك الكتب التي نشروا فيها فسادهم وكفرَهم وفجورَهم؛ حيث طالبوا بحرق تلك الكتب الإلحادية المضلِّلة وأوضحوا أهم جهلة بالإسلام!

دليل الأمر بالمعروف من الكتاب والسنة

ذكرتُ في أول فصل (لا يَعْلَمون الكتابَ إلا أمانيَّ) أنهم جهلةٌ بالإسلام كلَّ الجهالة، وأكرِّرُ العبارة هنا؛ حيث أُورِدُ نصوصَ وجوبِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهما أساسُ الملة وأصلُها؛ قال جل جلاله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [آل عمران: ١٠٤]، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف وَلَتَنْهَوُنَّ**

عن المنكر، أو ليوشكنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عقابًا من عنــده، ثم لَتَدَعُنَّه فلا يستجيب لكم». رواه الإمام أحمد والترمـذي وابـن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن.

وفي الصحيحين من حديث حذيفة في «**فتنة الرجل في أهله وماله تكفرها الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»، وفي الصحيحين أيضًا من حديث النهي عن الجلوس في الطرقات عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: «**فإن كنتم لابد فاعلين فأعطوا الطريق حقه**». قالوا: وما حقُّه يا رسول الله؟ قال: «**حق الطريق كف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**».

وفي صحيح مسلم من حديث أبي رافع عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من نبي بَعَثَه الله قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم تخلف مِنْ بَعْدِهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون؛ فمن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حَبَّةُ خَرْدَل**».

وفي فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال جل شأنه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. [آل عمران: ١١٠]، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**كنتم خيرَ أمة أخرجت**

للناس». قال: «**خير الناس للناس، تـأتون بهـم بالسلاسـل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام**»، وقال عز وجل في وصف قوم من أهل الكتاب مؤمنين: ﴿**يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَـأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾. [آل عمران: ١١٤]،

وقال جل جلاله فيمن يَتَّبعون النبي صـلى الله عليـه وسـلم ويهتدون بهديه: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾. [الأعراف: ١٥٧]، وقال عـز وجـل في وصـف المؤمنين: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَـأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾. [التوبة: ٧١]، وقال سبحانه وتعالى في أهل الـتَّمكين في الأرض: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾. [الحج: ٤١].

وفي وصية لقمان لابنه قال عز وجل: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِـنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾. [لقمان: ١٧].

وفي حديث أسامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يؤتَى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتنـدلق أقتـاب بطنه فيدور عليها كما يدور الحمار بالرحى، فيقال: يا هذا، أمـا**

كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى عن المنكر. قال: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه». الحديث متفق عليه.

جهلهم بالكتاب والسنة، ومما تقدَّم مِنْ أدلة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتَّضح بجلاء جهلُ مَنْ أنكر وجوب الأمر بالمعروف من وجوه:

١- صرَّحوا أنه لا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلا بتوكيل من الله حسب زعمهم، وأن حديث «**مَنْ رأى منكم منكرًا فليغيِّرْه**» ليس بحديث؛ وإنما هو من وَضْعِ فقهاء الحنابلة.

٢- إذا كان هذا الحديث المثبت بصحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري من وضع فقهاء الحنابلة فَمَنْ هم الفقهاء الذين وضعوا الثماني الآيات التي أوردها آنفًا؟ إن هؤلاء العملاء لا يعرفون الآيات القرآنية ولا يعلمون أين تقع من كتاب الله!!

٣- يبدو واضحًا أنهم ليسوا بمسلمين؛ حيث صَرَّحوا هم أنَّ النبيَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم كان قصدُه مِنْ دعوته إلى الإسلام تحقيق طموح جَدِّه عبد المطلب في إقامة دولة قرشية، وليس من أجل إقامة دين الإسلام الحنيف!!!

٤- إنهم لا يتكلمون بالإسلام أو عنه رغبة فيه؛ وإنما مِنْ باب المغالَطة والتشكيك فيه؛ لترويج باطلهم على طريقة سادتهم المبَشِّرين من النصارى وأحبار اليهود.

ينكرون عقوبة المرتدين

أما طعنهم في الأحاديث الصحيحة التي هي الدليل على عقوبة المرتدين، وعبارة أولئك الملاحدة التي طابعها الكــذب الصــريح، والتَهَجُّم السافر على كتاب الله العظيم وعلى رسوله الأمين، وعلى السنة النبوية الطاهرة، كما نصبوا أنفسهم وكأنهم من علماء الجرح والتعديل، وأنهم علماء مجتهدون في نقد الأحاديث – فهــم صــفر على الشمال لا هَمَّ لهم إلا تكذيب الرسالة المحمدية والتشكيك في الأحاديث الصحيحة، وهي الأصل الثاني بعد كتــاب الله تبــارك وتعالى، ويزعم الدكتور أحمد صبحي منصور المطرود من جامعــة الأزهر، وهو ينكر أن تكون السنة النبوية مصدرًا مــن مصــادر التشريع؛ ففي كتابه "الحسبة" ص (٩) يُنْكِرُ حد عقوبة المرتدين عن الإسلام، ويزعم – قَبَّحه الله – أنه لا وجود لشيء في الإسلام ولا في الأحاديث النبوية اسمه عقوبة المرتدين، وكلّ ما ورد في ذلك هو من وضع الدولة العباسية.

قلت: الحمد لله؛ فقد فضحهم الله بجهلهم وغبائهم؛ فقد أورد الإمام البخاري في كتاب الحدود من صحيحه، وكــذلك مســلم وغيرهما من أصحاب السنن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم نفرٌ مِنْ عكل فأسلموا، فاجتووا المدينة، "فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانهــا، ففعلوا فَصَحُّوا، فارتدوا فَقَتَلوا رعائتها واستاقوا الإبل، فبعــث في أثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَّر أعينهم، ثم لم يحسمهم

حتى ماتوا".

وفي كتاب استتابة المرتدين من صحيح البخاري رقم (٦٩٢٢) حين أتى علي رضي الله عنه بزنادقة فحرَّقهم، فبلغ ذلك ابنَ عباس رضي الله عنهما فقال: لو كنت أنا لم أحرِّقْهم؛ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا تُعَذِّبوا بعذاب الله**». ولقتلتهم؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ بَدَّلَ دينَه فاقتلوه**».

وفي كتاب استتابة المرتدين أيضًا برقم (٦٩٢٣): حيث بعث أبا موسى الأشعري وأتبعه بمعاذ بن جبل رضي الله عنهما، فلما قدم معاذ على أبي موسى ألقى له وسادة: قال: انزل. فإذا رجل عنده مُوَثَّق، قال: ما هذا؟ قال: كان يهوديًا فأسلم ثم تهوَّد. ثم قال: اجلس. قال: لا أجلس حتى يُقْتَل قضاء الله ورسوله. ثلاث مرات، فأمر به فقتل... الحديث.

وفي قتال أبي بكر الصديق رضي الله عنه للمرتدين وإجماع الصحابة على ذلك وهم مجتمعون - أكبرُ دليلٍ على قتل وقتال المرتدين، فهل كان ذلك من وضع الدولة العباسية؟ إن مدرب الكلاب لا يسوس الخيل، وعلم أولئك الملاحدة في التشريع الإسلامي كعلم البهائم في صياغة الذهب، ولا هَمَّ لهم في تعريف الحق من الباطل، وإنما قصدُهم إثارةُ البَلْبَلَة وتكفيرُ الناس وصدُّهم عن دينهم وتشكيكهم في معتقداتهم؛ سيرًا على نهج إمامهم وقائد مسيرتهم القسّ زويمر ومن كان على مثل طريقته واتَّبَع مِلَّته.

الفكـــر الغـــبي

أي حرية رأيٍ يزعمون؟ إن الفكر الحرَّ في نَظَـــرِ العلمـــانيين العرب هو ما علموه من جامعات الغرب، وما دَسَّـــه في عقـــولهم وأفكارهم أساتذتُهم وبعض أعلام ورُوَّاد التبشير الأوروبي وغـــيره، وأوكلوا إلى مريديهم القيام بدور المهمة التي عجز السادة عن القيام بها، وإقناع الناس بمضمونها المدمِّر.

فأوكلوا تنفيذ تلك المخططَّات الرَّهيبة المدمرة لأخلاق المسلمين ومعتقداتهم، وتَسَلَّمَها الأذناب كما يتسلم رقيب الخلف الراية مـــن رقيب السلف، وسموها ظلمًا وزورًا باسم الفكر الحـــر، ولربَّمـــا هششنا لسماع كلمة الفكر الحر وقلنا: عسى أن يرفع ذلك الفكر الحر بعض القيود المفروضة على حرية الفكر الإسلامي في بعـــض البلدان، وحين كشف عن وجهه الكالح وأعلنت مبادئ ذلك الفكر الحر كما يسمونه لمخادعة الجماهير الإسلامية، فإذا بالجبل يتمخض عن فأرة، وإذا بخيبة الأمل تفاجئ الأمة الإسلامية، وإذا بذلك الفكر المستورد يهاجم أَجَلَّ ما عُرِفَ به الإسلام وحده؛ يهاجمه بضـــراوة وشراسة لم يسبق لها في التاريخ مثيل، ثم يجبن عن كل ما سواه من الظلم والاستبداد في كل بلد ابتلي بالقوانين العلمانية الوافدة علـــى المسلمين بواسطة أبنائهم.

إن هذا الكذب الصَّريح على الإســـلام ورســـول الإســـلام وصحابتِه الكرام بحجة حرية الرأي يدعونا إلى الاستهجان الساخر، ثم نسألهم والجهالة فنون: كيف تنحصر هـــذه الحريـــة المفتعلـــة

المستوردة ضد القرآن وخاتم الأنبياء والمعتقدات الإسلامية وحده؟ ولماذا تختفي حرية الرأي وتجبن عن ذكر مساوئ المخلوق غير المعصوم ووصفه بما فيه من جور وظلم وتعسُّف وغطرسة؟ ثم لا يتورع أدعياء حرية الرأي المارقون عن الإساءة إلى أطهر خلق الله محمد الهادي البشير صلى الله عليه وسلم بأكاذيب وافتراءات ملفَّقة باعثها النفاق، بل الكفر الصريح والحقد الدفين والعمالة لأعداء الإسلام، بعد أن قبضوا الأجر من سادتهم.

* * *

مبادئ العلمانية

تنحصر حرية الرأي في المذهب العلماني العربي بإعلان الحرب على مبادئ الإسلام وحده، ويختلقون ما يشوِّه مبادئه السامية، ويضايقون من يتمسك به، ويحرمونه من حرية التعبير عن عقيدته الإسلامية، وهذا تناقض عجيب؛ حيث ينادون بحرية الرأي لأنفسهم ولكل البشر، وفي نفس الوقت يحرمون المسلمين وحدهم من هذه الحرية، ويروِّجون لكل مبادئ التَّحلُّل والفواحش الإجرامية ما ظهر منها وما بطن، ويشجِّعون تَفَشِّيها في المجتمع المسلم، ومنها إباحة الفوضى الخلقية، ويرون أن جريمة الزنا حقٌّ من الحقوق المشروعة لمرتكبيها، ولا يجوز مضايقة الزناة في ممارسة حقوقهم الخاصة بهم في العُرْفِ العلماني، وجريمة الزنا محرمة في جميع الشرائع والديانات وكذلك العرف الجاهلي.

يشجعون السفور وخروج المرأة على قانون البيت الإسلامي، والتمرُّد على زوجها الملتزم بموجب نظام الحرية البهيمية الوضيعة.

يضايقون الإسلام وحده ويحاربون المسلمين في عقيدتهم دون سواهم، ويهادنون جميع المبادئ من يهودية ونصرانية وإلحادية ومجوسية وثنية؛ لتضليل العامة بحجة وحدة الأمة العربية، فإن وحدة العرب مطلب أساسي على أي مذهب من مذاهب الأرض، باستثناء الدين الإسلامي؛ فإنه ليس لأهله حق الدفاع عن أنفسهم، ولا يحق للإسلام البقاء وحقوق الإنسان لا تشمل المسلمين في العرف العلماني العربي المستورد.

من أين أتى فضل العرب؟

لا شرف للعرب ولا سؤدد، ولا فضل إلا بالإسلام؛ لأن الأمةَ العربية كانت ضائعة قبل أن يرفعها الإسلام الحنيف؛ فقد رفع الإسلام العربَ قبل أن يكونوا شيئًا مذكورًا، وَوَحَّدَ كلمتَها بعد أن كانت لا تتحدُّ ولا تعرف الوحدة، ومَهَّدَ لها حتى أصبح العربُ في ظل الإسلام ملوك الدنيا وقادتها؛ دانت لهم الممالك في جميع أنحاء المعمورة، واستسلمت لعدلهم الأمم، وسادوا بالحكمة والقسط والإنصاف مشرق الأرض ومغربها وشمالها وجنوبها، بعد أن كانوا قبل الإسلام وفي ظل الجاهلية أعرابًا جفاة حفاة، منقطعين عن العالم في دوامات صراعات قبلية داخل الجزيرة يأكل القوي منهم الضعيف في حياة أقرب شبهها بها حياة الوحوش في غاباتها، ثم رفع الإسلام من شأنهم فارتفعوا وفتحوا وسادوا وحكموا، وهذا كتاب

الله القائل في العرب: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. [الأنبياء: ١٠]، وقال جل جلاله مخاطبًا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾. [الزخرف: ٤٣، ٤٤]، وقال جل جلاله: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾. [المؤمنون: ٧١]، ثم هبط العرب بعد أن تركوا التمسك بالقرآن، وتخلفوا حين تركوا العمل بالإسلام نصًا وروحًا ونظام حياة، ولن يعود لهم مجدُهم المفقود حتى يعودوا هم إلى الإسلام الذي رفع ذكرهم وخلَّد مجدهم كما كان آباؤهم، وهذا ما يخشاه قادة الغرب ومن لَفَّ لَفَّهم من الأذناب والأتباع.

ومن الغباء أن العرب حين تَخَلَّفوا عادوا يمارسون تقاليد الجاهلية الأولى، وقاموا بعد الكبوة والنكبات المتلاحقة يحاولون الالتفاف حول علم العروبة وشعار القومية العربية؛ ففي حفل رسمي بهيج تحت رعاية قائد القومية العربية ورافع لواء العروبة إلى الحضيض وبطل الهزائم في وقته حيث قال شاعرهم العلماني البارز - ونعوذ بالله مما قال:

هبوني عيدًا يجعل العرب أمة
وسيروا بجثماني على دين برهم
فقد مزقت هذي المذاهب شملنا
وقد حطمتنا بين ناب ومنسم

سلام على كفر يوحد بيننا
وأهلا وسهلا بعده بجهنم

انظر أخي المسلم كيف يرحب ذلك النصراني ويصلي ويسلم على الكفر، كيف يرحب بكل دين سماوي محرَّف، وأرضي شيوعي ملحد، يرحب ويصيح ويسلم على كل مذهب يجمع العرب على ملة واحدة، ولو كان هو المذهب البرهمي المجوسي الوثني، أو اليهودي والنصراني.

ولم يستثن منها إلا مذهب الإسلام ودين الإسلام وحده؛ فإنه في نظره ونظر أهل مِلَّتِه يجب استئصاله ولا يجوز له البقاء، كل ذلك من أجل توحيد الأمة العربية، ولم يعلم هذا الغر الحقود أن العرب قبل الإسلام ما كانوا إلا همجًا رعاعًا لا وزن لهم في دين الله ولا في دنيا البشر.

إن الغرب الماكر أخوف ما يخاف ويخشى عودة المسلمين إلى الإسلام؛ لأن الإسلام وسع مدارك العرب بالعلوم المتعددة النافعة، وصاروا بها أساتذة العالم بعد أن كانوا في جاهلية جهلاء مظلمة، لهذا لا يريد عودة المسلمين إلى دينهم، وكذلك يخاف الأتباع من العرب العلمانيين المرتزقة عودة الإسلام إلى مجده الزاهر؛ لأن ذلك يغيظ سادتهم من الأعداء؛ لكونهم يريدون أن يبقى العرب والمسلمون أذيالاً وأتباعًا لهم، كما هو الحال بالنسبة للمثقف العربي من كتاب حرية الفكر اليوم.

إن أعداء الإسلام من يهود ونصارى وغيرهم يخشون عودة

الإسلام إلى قوته وهيمنته، إن قادتهم الكبار ومفكـــريهم يلقبـــون الإسلام بالعملاق؛ فهذا رئيس وزراء اليهود في فلسطين ابن غريون ووزير دفاعه موشى ديان يتخوَّفان ويقولان: أخوف ما نخشـــاه أن يستيقظ العملاق. فسئلا: من هو العملاق؟ فأجابا قـــائلين: هـــو الإسلام. إلا أنهما تفاءلا قائلين: اطمئنوا؛ فإن الإسلام مخدر ومنوم في غيبوبة وفي نوم عميق، ولا خوف عليكم منه الآن.

إن من أعظم المخدِّرات المنومة بل القاتلة للإســـلام تضـــييق الخناق عليه من أتباعه العلمانيين العرب لا من غيرهم؛ فهم الـــذين خذلوه ومهدوا لأعدائه في تضييق الخناق عليه، والذي يؤلم الفـــؤاد أنهم من العرب؛ فقد صار تأثيرهم أشد من تأثير سادتهم وأساتذتهم ممن زعموا أن عزيزًا ابن الله، والمسيح ابن الله، تعالى الله وتقدســـت ذاته وأسماؤه وصفاته عما يقولون علوًا كبيرًا.

* * *

ما هي حرية الرأي؟

أصالة الفكر الحر للمسلم يســـتمدها مـــن أصـــول العقيـــدة الإسلامية الحرة والفكر الحر الخالص الحسن، وأصالة الفكر الثابت ما بني على أصل ثابت حر أصيل لا شرقي ولا غربي يُستنبط مـــن كتاب الله العزيز وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومـــن الأمثلة لذلك: الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله؛ ابتكـــر علـــم العروض فاستنبط بدائع علم العروض وعلله من مـــادة غامضـــة لم

يسبقه إليه سابق من العلماء، فغدا إمام العربية الفصحى ومنشئ علم العروض، وهو علم اخترعه لا عن معلم علَّمه، و لم يسبقه سابق في فنِّه.

كما قيل عنه: إن دولة الإسلام لم تُخرِج أبدعَ للعلوم التي ليس لها أصل عند علماء العرب من الخليل بن أحمد، وليس أدل على ذلك من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه ولا من مدرسة اكتسبه؛ فلو كانت أيامُه قديمةً ورسومُه بعيدةً لشَكَّ فيه الكثير؛ لصنعته ما لم يصنعه أحد قبله منذ خلق الله الدنيا، ومن تأسيسه بناء النحو، وقد ضَمَّنَه كتابه الذي هو زينة لدولة الإسلام.

الخليل ابتكر علمًا نافعًا على أصول إسلامية بلاغية نافعة متَّصلة ببلاغة القرآن الكريم وعلم العربية الفصحى؛ فهذا هو الإبداع الحر والفكر الأصيل المرتبط بمعتقد الأمة، والمستنبط من أصل دينها ومن وضع رجل أصيل ثابت العقل والرأي.

أما فكر الدخلاء المقتبس من مدارس التغريب والشعوبية وأفكار الغزو الثقافي الغربي بعد أن تشبع به الببغاوات من أبناء وطننا العربي المنكوب،

ثم تحولوا إلى أدوات لنشر ما لقنوا من أفكار سادة الاستعمار وقادة التبشير المناوئين للإسلام وأهله، فإن ذلك ليس بفكر؛ وإنما هو موت فكر وضياع أمة.

وما تخفي صدورهم أكبر

معجزة في إعجاز القرآن وتفسيره بأحوال الخلق في كل زمان، وتصويره الدقيق لكل جماعة ولكل أمة ولكل مجتمع في طول الزمان وعرضه، وما يحدث فيه من خلل وتخلخل؛ فهو يرصد أحوال الناس ويصوغها ويصورها تصويرًا بليغًا وكأنه ينزل مع كل حادثة ويتجدد مع تقلبات الخلق في كل أرض وتحت كل سماء.

ألا ترى أن القرآن يلقي النذر ويحذر عباده المؤمنين من الركون إلى أعدائهم من المنافقين وأهل الكفر ألا يسروا إليهم، ولا يتخذوا منهم بطانة يطلعونهم على أسرارهم، وأنهم لا يؤتمنون على أسرار المسلمين؛ فهم لا تستريح نفوسهم إلا بما يغيظ المسلمين ويبعث لهم المتاعب، ويكدِّر عليهم صفو حياتهم؛ قال جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠]: يتبين من هذه الآيات أن الغل الخفي والحقد الدفين لا يغادر قلوبهم، يترجم خبث نواياهم ما يكتبون ويزوِّرون من مفتريات على الإسلام والمسلمين مما تغذت

به أفئدهم الخبيثة من نظريات اقتبسوها من جامعات الفكر العلماني والفكر الحداثي الغربي المعادي؛ فما أعظم هذا القـــرآن الـــذي لا تحدث حادثة ولا ينحرف منحرف إلا والقرآن الكريم يصف ذلك الحدث وكأنه أنزل في وقت حدوثه؛ ذلك لأنه تنزيل من حكـــيم حميد.

وفي قوله سبحانه: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَـــا يُحِبُّـــونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّـــوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِـــذَاتِ الصُّدُورِ﴾. [آل عمران: ١١٩]؛ وفي هذه الآية وفي قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِـــلَ مِـــنَ الْغَيْظِ﴾، وفي هذه العبارة حين يعضون على أناملهم من شدة الغيظ والحنق على المسلمين؛ فقد ذهبت المصـــانعة في الظـــاهر وبـــدت سجيَّتُهم واضحة وأخلاقهم جلية حين يعضون على أناملهم وهذه أنجع وسيلة لديهم لما يخففون به ما يجدونه من كره للإسلام وأهله.

الفرق بين السابق واللاحق

ورد في كتب التفاسير والسير أن جماعة قالوا في غزوة تبوك: ما رَأَيْنَا مثلَ قراءنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء. قال رجل: كذبت، ولكنك منافق، لأُخْبِرَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل في ذلك قرآن وهو قوله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّـــا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْـــتَهْزِئُونَ(لَـــا

تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾. [التوبة: ٦٥، ٦٦]، فأرسل صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر قائلًا: «**أدرك القوم؛ فإنهم قد احترقوا، فاسألهم عمَّا قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى قلتم كذا وكذا**». فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم راكبٌ على راحلته، فقالوا: والله يا رسول الله إنما كُنَّا نخوض ونلعب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

قلت: انظر يا رعاك الله كم هو الفرق بين قول الفريقين وعملهم؛ أولئك سيوفهم على عواتقهم مجاهدون في سبيل الله مع رسول الله وفي صحبته وتحت لوائه، وقالوا كلمة سخرية بالقراء من المهاجرين والأنصار، ولم يذكر من ذكر القصة أنهم سَخِروا بالله أو آياته.

إلا أن مَنْ يَعْلَم السِّرَّ وأخفى جعلهم قد سخروا بمن آمن بالله وبكتابه ورسوله؛ فكأن السخرية كانت موجَّهةً إلى الله وآياته ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكما هو واضح فالفرق بين الفريقين يتَّضح في الآتي:

أولا: قال: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: أثبت لهم الإيمان فقرَّر مصيرهم بتلك الكلمة كلمة الكفر بعد الإيمان، وهم يقطعون الطريق مع بُعْدِ المفازة ومَشَقَّةِ السفر الطويل سيرًا على الأقدام،

فَزَلَّت به القدم بتلك الكلمة ثم خرجوا بها من دائرة الإسلام؛ حيث قال: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

أما هؤلاء فقد كَذَّبوا رسول الله وزعموا أن دعوته كانت لغرض الملك وتشييد الدولة الهاشمية وتحقيق أمنية جده عبد المطلب، ومن سياق كلامهم أنهم لم يدخلوا إلى حظيرة الإسلام.

ثانيًا: انتقاصهم للخليفة الراشد عثمان بن عفان وزعمهم أنه لم يكن كفئًا للإمارة.

ثالثًا: كذبُهم الفاحش ورميُهم لسيف الله خالد بن الوليد بفاحشة الزنى، واتهام أبي بكر بالمداهنة حيث لم يقم الحد على خالد حسب زعمهم قاتلهم الله.

رابعًا: كذبُهم على مجتمع يثرب صفوة البشر الأخيار خير مجتمعات العالم قاطبة؛ ألا وهو مجتمع الصحابة الكرام، ورميُهم بالدعارة والبصبصة للنساء في مواسم الحج وغيره.

خامسًا: فرية الدكتور الوثني سيد القمني وتقريره بوجود آلهة سماوية وأرضية ذكرانًا وإناثًا.

فإذا كان نفرٌ من الصحابة وهم مجاهدون قد كفروا بكلمة واحدة وهم كما أسلفت قافلون من ميدان الجهاد في سبيل الله فكيف بهؤلاء وقد أتوا بجميع المكفِّرات كلها؟!

ضعف النفوس سبب في هزائم المسلمين

إن الهزائم المتلاحقة التي أنهكت المسلمين في أغلب أقطارهم وفرَّقت شملَهم وأضعفت شوكتَهم، ما كان يقودها ويساهم في تتابعها ويساوم في إشعال نارها وتأجيج لهبها إلا فئام من المرتزقة العرب الذين تَسَمَّوا بأسماء المسلمين واندسُّوا في مجتمعهم الإسلامي؛ كسيد وأحمد وخليل عبد الكريم وأمثالهم، ثم ارتدوا عنه وكانوا عونًا لأعدائه عليه يلبسون لباس الإسلام ويرتدون قناع العروبة وينفثون سمومهم من خلال دعوتهم الجوفاء وصنم عصرهم المعروف بحرية الفكر، ويتخذون من الفكر العلماني الملحد منابر لضرب الإسلام في الصميم والنيل من الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته وصحابته وترويج السَّفَه الذريعِ ضدَّ صفوة البشر ومن اختارهم الله لصحبة نبيه ونشر دينه وإقامة عدله.

إن الهزائم والكوارث التي أشعلت نار الحقد وأوجدت في الأمة عاهات الضعف والتخلُّف والانقسامات والتنكُّر للقيم الإسلامية، وأصبح فئامٌ من المثقَّفين بالثقافة الغربية يحملون على كواهِلِهم معاولَ الهدمِ ليهدموا بها الإسلام ويدلون الأعداء على عورات المسلمين، وقد أعلنوها رِدَّةً ولا أبا بكر لها، وهذا حصاد ما زرعته الثقافة العلمانية الملحدة من تدمير القيم والأخلاق: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾. [الأنعام: ١١٢].

القرآن وأهل الكتاب

المعركة بين المسلمين وأهل الكتاب معركة قديمة؛ لأنها تتَّصل بالعقيدة في الله والتوحيد الخالص له جل جلاله، ولكون أهل الكتاب يؤمنون بتعدد الآلهة مع الله، وقد أوضح القرآن الكريم الذي هو كلام الله العالِم بأحوال عباده حقدَ أهل الكتاب من اليهود و النصارى على المسلمين؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. [البقرة: ١٢٠]، والكفر كله ملة واحدة، ولا يزالون يقاتلون المسلمين فوق كل أرض وتحت كل سماء حتى يعيدوهم إلى الكفر إن استطاعوا؛ قال عز وجل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. [البقرة: ٢١٧]؛ فسبحان الله، ما أعظم هذا القرآن وأصدقه؛ فكأن عداءَ الكفار جميعًا ينحصر ضد هذا الدين الإسلامي العظيم، يتضح هذا حين ينظر الإنسان المسلم إلى تعاطف كل المذاهب في طول الأرض وعرضها واجتماعها على عداوة الإسلام؛ فكل المذاهب غير الإسلام مجتمعة في حلف أبدي على حرب الإسلام ومنابذة الدين الحنيف؛ فمن حين بُعِثَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم والأحلاف مستمرة تعقد ضد الإسلام؛ حيث تحالف اليهودُ مع قريش في بداية الأمر، وأصدر اليهود فتاواهم إلى قريش يزعمون أن ما هم عليه من

الشرك بالله و عبادة كل شيء مع الله من حجر ومدر وشجر ونجوم وملائكة وجميع الأصنام المختلفة هي الحق، وما عليه محمد هو الباطل، وهم يزعمون أنهم أهل كتاب منزل، كما عقدوا حلفًا مع قريش وبقية قبائل العرب المشركة على حرب النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الأحزاب.

ولا زالت الأحلاف بين جميع طوائف العالم إلى يومنا هذا مستمرة في تآمرها على استئصال الإسلام ومَحْوِهِ تمامًا من الوجود: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. [التوبة: ٣٢].

إن أهل الكتاب جادُّون ويبذلون المستحيل ويدخلون الشكوك والشبهات والأوهام ويتربصون بالإسلام وأهله، والحمد لله؛ فالقرآن قد بَصَّرَ المسلمين بكيد عدوِّهم وتربُّصِه بهم؛ قال عز وجل: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾. [آل عمران: ٦٩].

ومن هنا تتبيَّن مكائدهم وما يضمرونه للمسلمين من عداء وغيظ قاتل وحقد دفين؛ فهم يحاولون بشتى الوسائل أن يطفئوا نور الله ويضعوا الحواجز بين المسلمين وبين كتاب ربهم وهدي نبيهم صلى الله عليه وسلم، لغرض إضعاف المسلمين وضياعهم وإضلالهم عن معتقدهم الإسلامي الخالص الذي قاد سلفهم إلى قيادة العالم بأسره وسيطر على الأرض جميعًا؛ فهم يخافون أن يعيد التاريخ نفسه ويستيقظ العملاق، وهذا أكبر ما يخافون منه ويحذرونه.

الخداع والمراوغة

وفي ميدان المراوغة والخداع قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. [آل عمران: ٧٢]؛ فهم يتظاهرون بالإيمان من قبلهم أول النهار ويكفرون به آخره، وذلك لقصد الإيهام وإدخال الريب والشك في نفوس المسلمين حسب زعمهم ولؤم طبائعهم، ومن هنا يرتد عن الإسلام مَنْ آمن بالإسلام من العرب؛ حيث قالوا: لعلَّهم يرجعون: أي يرتدون عن الدين، وهذا هو دَأْبُهم ومكرُهم بالمسلمين من زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما أوضح سبحانه وتعالى تضليلهم الماكر وحيلهم المتتالية وكيدهم المستمر ومراوغتهم الواهية؛ قال عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. [آل عمران: ٧٨].

إن هذا التدليس قد فضحه الله، وأخبر أهم تجار إفك وكذب، يكذبون على الله وهم يعلمون أهم كاذبون يوهمون الناس بأهم يتلون كتاب الله وإذا هم يتلون كتاب الشيطان ووحيه الموحي به إليهم، يلوون ألسنتهم بالكتاب ليتخذوا من لَيِّهم وتأويلاتهم مقررات تتفق مع ميولهم وأهدافهم وهوى في نفوسهم، يُسَخِّرون كتاب الله لأهوائهم السائدة وآرائهم المبتدعة التي تصادم حقيقة

الدين ومراد الله، يتصيدون الشُّبَهَ ويخترعون الألفاظ؛ فيزعمون أن ذلك هو مراد الله من كتاب الله وهو من عند الله، وفي الحقيقة أنه ليس من كتاب الله ولا ينم عن مراد الله.

وإنما حوَّروا ودوَّروا وزوَّروا من الألفاظ ما يلبس الحق بالباطل؛ فيدعون إلى الباطل ويرغِّبون الناس فيه ويكتمون الحق ويحذرون الناس منه، فسبحان الله؛ كيف مسخ الله عقولهم وقَلَبَ أفئدتَهم وأعمى بصائرهم وأبصارهم.

إن عقيدَتَهم الكذب وهديَهم الضلال ودينَهم الفجور وقولَهم الفُحش والزور، فلا يغترُّ بهم إلا جاهل بالإسلام أو منحرف مارق مغرور، وقد يوجَدُ الخداع والاحتراف بالدين عند غير أهل الكتاب حينما يضعف الوازع الديني في نفوسهم ويرخص الإيمان بالله في قلوبهم، فيتخذون الإيمان سُلَّمًا لأهداف ذاتية، ويتخذون من الدين حرفة تُدِرُّ عليهم مكاسبَ ماديَّةً.

صنائع التبشير والاستعمار الغربي

هناك بحمد الله عدد من رجال العلم والفكر الإسلامي جادُّون في مقارعة خصوم الإسلام من دعاة التنصير ومنظمات التبشير اليهودي والنصراني المتحالفة ضد الإسلام ومحاربة المسلمين، وهذا شيء جميل، ويثيبهم الله على قَدْرِ نيَّاتهم وجهادِهم؛ فاليهود والنصارى من أهل الكتاب هم أعداء ملتنا بلا ريب؛ فهم من عهد البعثة النبوية المحمدية يكيدون للإسلام، ولا يزالون يكيدون له ويضعون العراقيل في طريقه إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ يتربَّصون بنا ويزوِّرون الحقائق، وينتحلون الشُّبَهَ، ويُجَنِّدون العملاء للكيد والمكر بالمسلمين والنيل من الإسلام؛ بهدف تحطيم المسلمين حتى يتركوا دينهم ويسيروا على نهجهم واتباع ملتهم؛ قال جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾. [آل عمران: ١٠٠]؛ إذن فقد أبان الله جل جلاله لنا في كثير من آيات كتابه العزيز أن أهل الكتاب أعداء للمسلمين، وعداؤهم متأصِّلٌ ومستمرٌّ.

فإذا كان الاستعمار الغربي الذي كانت تُمِدُّه عناصر التبشير بالمخططات لإضعاف عقائد المسلمين؛ ليُحَوِّلوا فئامًا من العرب و المسلمين إلى سماسرة لهم يَدُلُّوهم على عورات أهل الإسلام ويخدمون مخططاتهم، وقد رحل الاستعمال البغيض بجيوشه عن بعض بلاد المسلمين التي قد استعمرها زمنًا طويلاً وعاث فيها

الفساد – فقد ترك خلفه قطعانًا من المثقفين بثقافته الغربية من بني قومنا هم إلى البهائم أقرب شبهًا منهم إلى البشر؛ نعم؛ لقد ترك بعد رحيله جيوشًا جرَّارةً من صنائعه أوكل إليهم خلخلة العقيدة الإسلامية وتأويل الشريعة المحمدية وتحريفها وتشويهها؛ فأصبحوا أداة طَيِّعةً ونوايا، يُزَيِّفون الحقائق، ويحرفون كلام الله ويزورون التاريخ، يؤمنون تارة ويكفرون تارة، قد أوكل إليهم سادتهم المستشرقون الخلافة لتنفيذ مخططاتهم، يردد العبيد ما يشيعه السادة المرتحلون؛ بل إن السادة قد يؤجلون ويخجلون من التصريح بسب الإسلام ونبي الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام في حين أن الأذناب يصرِّحون بالكفر وسب الدين الإسلامي علنا بصراحة مكشوفة، إن الأتباع قد جنَّدوا أنفسهم دعاة لنشر كل قبيح لُقِّنوه فصاروا خناجر مسمومة في جسم الأمة الإسلامية؛ ليقوموا بما عهده إليهم التبشير الغربي البغيض من الدعوة إلى مذهبه، ونشر كل مذهب إلحادي هدَّام على وجه الأرض؛ فهم يهادنون كل الأديان من سماوية محرفة وأرضية وثنية شركية مستقاة من وحي إبليس، وأصبحوا حربًا ضروسًا على الإسلام وحده؛ فهم يعتقدون أن الإسلام هو العدو الذي يجب أن يُمْحَى ويَخْتَفي من الأرض؛ فيا عجبًا كيف نجحت منظَّمات التبشير الغربي في نشر خرافاتهم المبتدعة وأباطيلهم المضللة والمسلمون لا زالوا في سبات عميق؟!!

رَمَتْنِي بدائها

يتشدق العلمانيون العرب ويتمسحون بالإسلام ليوهموا العامة أنهم يقصدون تصحيح الأخطاء، يتكلمون عن الإسلام وكأنهم علماء ولكن تغلب عليهم عقيدة الإلحاد من ناحية والجهل بالإسلام من الناحية الأخرى؛ فيصرحون بالكفر بلا وجل ولا خجل وينكرون الرسالة المحمدية، ويتّهمون النبيَّ صلى الله عليه وسلم أنه ما كان يقصد بدعوته النبوية إلا ليؤسس ملكًا هاشميًا فقط، وأن الإسلامَ ليس دينًا؛ وأنه تجربة فجَّرها محمد وساهم الصحابة معه في تجسيدها لإقامة الدولة القرشية، ومن غبائهم أنهم يزعمون أنهم علماء مجتهدون فإذا بهم ذيل عقرب يلسع من الخلف؛ بل رأس حربة مسمومة يستخدمها الأعداء ضد الإسلام والمسلمين يطعنون بها في صميم الدين الإسلامي؛ لا يتورَّعون؛ بل لا يستحون من اختلاق مفتريات وأكاذيب لم يستطع أعداء ديننا الحنيف من اليهود والنصارى أو غيرهم أن يصرحوا بها كما صرح بها أذنابهم من العلمانيين العرب المرتزقة، ويطبقون ما في جُعْبَتِهم من خلاعة ومجون وسفور وإباحيَّةٍ تفوق الوصف.

مدن تغصُّ شوارعُها وأسواقُها بنساء عاريات من كل حشمة وكرامة، عاريات من الشرف ومكارم الأخلاق، يزاحِمْنَ الرجال في مناطق تجمعهم ورؤوسُهُنَّ وصدورهنَّ ونحورهن ونهودهن وأفخاذهن عارية من الملابس بعد أن تعرت من الحياء، وكأن لسانَ حالِهن يقول لكل عاشق: "هيت لك". يريدون أن يلصقوا

بالمجتمعات الإسلامية خلاعةَ مجتمعاتهم المتفرنجة؛ ليردُّوا المسلمين عن دينهم ليكونوا مثلهم ويقلدوا معهم أساتذتهم وينهجوا نهجهم حين ﴿بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾. [إبراهيم: ٢٨].

يريدون أن يرموا بعيوبهم أطهرَ أمة وُجِدَتْ على وجه الأرض؛ يرموا مدينة الهجرة النبوية التي خرجت منها كتائب الجهاد لتفتح الممالك شرقًا وغربًا لنشر العلم والطهر والعفاف في جميع أنحاء الأرض، يرموا أولئك البررة الكرام بالدعارة والتحلل، وهي مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم التي أُسِّسَتْ على التَّقْوَى من أَوَّلِ يوم، يرموا مجتمعًا هو أطهر مجتمع عرفه التاريخ ثم يتهموه بالإفك ويصفوه بالدعارة والإباحية، وكأنهم يقيسون حياة الأمة الزكية السامية التي كانت حياتهم وهديهم وسموُّ أخلاقهم معجزةً خارقة في الطُّهْرِ والعفاف والصدق والأمانة والإيمان والتقوى والإحسان، ذلك المجتمع النظيف المثالي الطاهر – يحاولون أن يرموهم بفجورهم وعيوبهم وحياتهم الأوروبية البهيمية المتحللة الهابطة، على طريقة المثل العربي: رَمَتْنِي بدائِها وانْسَلَّتْ.

ليست لهم فصيلة

ما هؤلاء الناس؟! إنهم ليسوا عربًا ولا عجمًا ولا روسًا ولا أمريكان!!! إنهم مسخٌ غريبُ الأطوار ممسوخ الهَوِيَّة منحرفُ الفكر، بُلِيَتْ به هذه البلاد إثر ما صنعه الاستعمار بها، وترك بذره في مشاعرها وأفكارها..

فهم كما جاء في الحديث «**من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**». بَيْدَ أنَّهم عدوٌّ لنا ولتاريخنا وحضارتنا، وعبءٌ على كفاحِنا ونهضتِنا، وعونٌ للحاقدين على ديننا والضانِّين بحقِّ الحياة له ولمن اعتنقه.

إن هؤلاء الناس الذين برزوا فجأةً وملأت ضَجَّتُهم الأوديةَ كما تملأ الضفادع بنقيقها أكنافَ الليل، يجب أن يُمَزَّقَ النقابُ عن سريرتهم، وأن تعرفهم هذه الأمة على حقيقتهم؛ حتى لا يُرَوِّجَ لهم خَدَّاع ولا ينطلي لهم زورٌ.

إن هؤلاء الناس ينبغي أن يماط اللِّثامُ عن وجوههم الكالحة، وأن تلقى الأضواء على وظيفتهم التي يَسَّرَها الاستعمار لهم ووقف بعيدًا يترقب نتائجها المرة، وما نتائجها إلا الدمار المنشود لرسالة القرآن وصاحبها العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

لقد قرأنا ما يكتبون وسمعنا ما يقولون.. ولم يعوزنا الذكاء لاستبانة غايتهم؛ فهم ملحدون مجاهرون بالكفر.

يقولون في صراحة: إن الإسلام ليس إلا نهضة عربية، فاز بها

هذا الجنس العظيم في القرون الوسطى، بقيادة رجل عبقري [١] هو الزعيم الكبير محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم!

أي أن هذا الدين الجليل نبت من الأرض و لم ينزل من السماء!! وأنه انطلاقة شعب طامح فاتح، وليس هداية مثالية جاءت من عند الله لتنقذ العرب من جاهلية مظلمة كانوا بها في مؤخرة البشر، إلى حنيفية سمحة رفعت خسيستهم ثم انتشر شعاعها بعدُ في أنحاء الأرض كما تنتشر الأضواء في عرض الأفق لدى الشروق [٢].

* * *

التقليد والغباء

الله أكبر، إنها السنن، وما أشبه الليلة بالبارحة، إن نهجَ الملاحدة واحد، وإن تباعدت أوطانهم وتعاقبت أزمانهم؛ قال عز وجل: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾. [الذاريات: ٥٢-٥٣]؛ إن ملاحدة اليوم قد فاقوا في كفرهم ملاحدة الأمس؛ فأولئك يقولون عن الإسلام نهضة عربية فار بها هذا الجنس العظيم بقيادة رجل عبقري؛ فوصفوا الصحابة رضوان الله عليهم بالجنس العظيم؛ أما ملاحدة اليوم فإنهم يقولون:

---

(١) لا يوصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبقرية بل هي نبوة ووحي ورسالة.

(٢) انظر كتاب مع الله فصل (لا مكان للإلحاد بيننا) للشيخ محمد الغزالي رحمه الله.

إن محمدًا ما أراد بدعوته إلى الإسلام إلا تحقيقًا لحلم جَـدِّه عبـد المطلب؛ حيث كان يطمع أن يؤسِّسَ دولةً قُرَشِيَّةً، ويقولـون: لا تقدِّسوا الصحابة؛ فهم رجال ونحن رجال، والإسراف في تقديسهم كارثة!!!

ووصفوا أطهرَ مجتمعٍ عرفة التاريخ في طهره وعدله وإنصـافه وعفته و غيرته على صون الأعراض مجتمعَهم ومجتمعـات العـالم قاطبة؛ فوصف المارقون ذلك المجتمع المثالي الطاهر رفيع الأخـلاق بأنه مجتمع داعر متحلل !!!

إنه التقليد الأبله والفكر الغبي والمرض القلبي والجري الحثيـث خلف سراب التبعية، وجميلٌ قولُ الشاعر الإسـلامي في وصـف ببغاوات المقلِّدين:

يا سائلي عـن موضـع التقليـد خـذ
عـني الجـواب بفهـم لُـبٍّ حاضـر
لا فـرق بـين مقلـد وبهيمـة
تنقـاد بـين جنـادل ودعـاثر

ومما يؤسف له أن الإلحاد يُنْشَرُ على نطاق واسع في بلد يحوي معلمًا حضاريًا إسلاميًا وتاريخيًا ما زال إلى يومنـا هـذا يناضـل ويكافح افتراءات الملاحدة، ثم يثير هؤلاء الدعاة شبهاتهم بعـد أن تشبعوا بأباطيل الغزو الثقافي الغـربي، وتشـبعوا بأفكـاره إبـان الاحتلال، وبما تَغَذَّت به أفكارهم من مدرسة التغريب والشعوبية، ومن خلال سماسرة المستشرقين الذين ما زالوا يردِّدون الشـعارات

نفسها في أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ما أراد بدعوته إلى الإسلام إلا تحقيق أمنية جدة عبد المطلب؛ حيث كان يطمع في تحقيق دولة هاشمية قرشية، وإنما اتَّخَذ دعوى النبوَّة والرسالة وسيلةً ليحقِّقَ بها حلمَ جَدِّه، وليست وحيًا إلهيًا من عند الله العلي العظيم.



الفهرس